

دفاع القمص سرجيوس عن صحة الكتاب المقدس في ميزان النقد العلمي

د/ عبد الحافظ أحمد طه

قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، مصر

البريد الالكتروني: AbdelHafezTaha.٢١١٣@azhar.edu.eg

ملخص بحث

ذكر القمص سرجيوس أدلة كثيرة على صحة الكتاب المقدس الذي بين أيديهم ، وأقام أصولا متعددة لبيان أنه موحى به ، وعدم وقوع التحريف فيه ، بل وعدم إمكان ذلك ، وخصص أحد كتبه حول هذا الموضوع ، وجاء هذا البحث ليلقي الضوء على هذه الأدلة والأصول ومناقشتها ، و قد تكوّنت معاقده من مقدمة وتمهيد ومبحثين، ووضحت في التمهيد نبذة عن حياته ، واضطلع المبحث الأول بذكر أدلته القرآنية على سلامة التوراة والإنجيل الحالييْن من التحريف ، و بيان موقفه من الآيات التي تثبت التحريف، وعالج المبحث الثاني أدلة القمص سرجيوس العقلية على أن الكتب المقدسة التي لديهم موحى بها، وعلى عدم إمكان وقوع التحريف فيها ، وقد قمت بعرض أدلته ، كما ذكرها، وأتبعت ذلك بالردود والتفنيد والتعقيب والمناقشة الموضوعية، لكل دليل أدلى به، مدعما ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال المفسرين، ثم مستعينا بالمصادر النصرانية وبأقوال علماء اللاهوت العقليين كثيرا، واتبع الباحث في دراسته المنهج التحليلي ، والمنهج النقدي، وخلص البحث إلى براءة النصوص القرآنية التي استدل القمص سرجيوس من خلالها على أن التوراة والإنجيل الحاليين غير محرفين، وقد قام البحث بتفنيد أدلته حول ذلك، وبيان الحق الذي تدل عليه النصوص، وكذلك زعم القمص أنه يوجد من علماء المسلمين ومن المفسرين للقرآن من ذكر بأن التوراة والإنجيل غير محرفين ، وقد أظهر البحث بطلان رأيه، بذكر كلام علماء المسلمين عن وقوع التحريف، ومن نتائجه أيضا أن القمص استعمل منهج قلب الحقائق والفهم بالعكس ، حينما اعتقد بأن الآيات الدالة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل، هي صريحة الدلالة على صحتهما وعدم تحريفهما، كما استخدم القمص أسلوب اجتزاء النصوص من مواضعها، وقد رصد البحث ذلك عنه ، حينما ذكر كلاما للرازي في مسألة التحريف مجتزءا من سياقه ، ليستدل من خلاله على نتيجة في نفسه ، يريد أن يصل إليها، وهي أن الرازي لم يقل بالتحريف، وقد بيّن البحث تهافت استدلاله، ويوصي البحث بضرورة عمل موسوعة أو دائرة معارف إسلامية ، يتم فيها جمع شبهات اللاهوتيين التقليديين حول صحة الكتب المقدسة ومناقشتها مناقشة موضوعية ، لعلها تهدي ضالا ، أو تروي ظمآنا، أو تشفي عليلا، كما يوصي بالاهتمام بمنهج النقد الذاتي لشبهات علماء اللاهوت، فهو وسيلة عظمى في الإقناع.

الكلمات المفتاحية: القمص سرجيوس، التحريف، التوراة والإنجيل، الكنيسة.

Father Sergius defending the authenticity of the Bible

In the balance of scientific criticism

Abdel Hafez Ahmed Taha

Department of Religions and Sects, Faculty of Islamic Da`wah, Al-Azhar University, Egypt

E-mail: AbdelHafezTaha.٢١١٣@azhar.edu.eg

Abstract:

Archbishop Sergius mentioned many evidences for the authenticity of the Holy Book in their hands, and he established several principles to show that it was inspired by it, and that distortion did not occur in it, or even that it was not possible. His complexes consisted of an introduction, a preface, and two chapters. In the preface, a brief about his life was explained,The first topic dealt with mentioning his Qur'anic evidence on the integrity of the current Torah and the Bible from distortion, and his position on the verses that prove distortion, and the second topic dealt with the rational evidence of Father Sergius that the holy books they have are inspired, and on the impossibility of distortion in them, and I have presented his evidence , as he mentioned it, and followed that with responses, refutations, commentary and objective discussion, for every evidence he gave, supported by evidence from the Qur'an and Sunnah and the sayings of the commentators, then we sought the help of Christian sources and the sayings of rational theologians a lot, In his study, the researcher followed the analytical method, and the critical method, and the research concluded that the Qur'anic texts are innocence, through which Father Sergius inferred

that the current Torah and Bible are not distorted. Among the Muslim scholars and exegetes of the Qur'an are those who stated that the Torah and the Bible are not distorted, and the research has shown the invalidity of his opinion, by mentioning the words of Muslim scholars about the occurrence of distortion, and from its results also that the hemisphere used the approach of reversing the facts and understanding the opposite, when he believed that the verses indicating the occurrence of distortion in the Torah The Gospels clearly indicate that they are true and not distorted, The hemisphere also used the method of dividing the texts from their places, and the research monitored that about him, when he mentioned words of Al-Razi on the issue of distortion, fragmenting from its context, to infer from it a conclusion in himself, which he wants to reach, which is that Al-Razi did not say by distortion, and the research showed a rush His reasoning, and the research recommends the necessity of creating an encyclopedia or an Islamic encyclopedia, in which the suspicions of traditional theologians about the authenticity of the sacred books are collected and discussed objectively, perhaps it guides the lost, quenches thirst, or cures the sick. It also recommends paying attention to the method of self-criticism of the suspicions of theologians, as it is a means Super persuasion.

Keywords: Father Sergius, distortion , the Torah and the Bible,the church



مقدمة

الحمد لله ، رضى لنا الإسلام دينا ، وهدانا صراطا مستقيما ، وجعل قلوبنا تعرفه ، وألسنتنا تلهث بذكره ، وظهورنا تركع له ، وجباهنا تسجد له ، سبحانه ، له صفات الجمال والجلال والكمال ، ما من شئ في الكون وإلا وهو دال عليه ، ولا يصرف عن معرفته إلا من له قلب لا يفقه به ، وعين لا يبصر بها ، وأذن لا يسمع بها ، فأحمده حمد الشاكرين ، وأشكره شكر الحامدين ، وأستعين به ، وأستجير ، من أن يزيغ قلبي ، أو يضل عقلي عن الهداية له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصفيه من بين خلقه وخليله ، خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وهو أولى الناس بعيسى كما أخبر ، فصلوات ربي عليه ، وعلى روح الله وكلمته عيسى، وعلى كليم الله موسى ، وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى جميع أصحابه وأزواجه وذريته ، وسلم تسليما كثيرا.

ثم أما بعد،،،

فإنه بدأت في الآونة الأخيرة تزداد موجة الرد على أدلة القرآن الكريم الواردة في تحريف التوراة والإنجيل ، وعلى أدلة علماء المسلمين الذين ينتقدون التوراة والإنجيل المحرفيْن ، حيث سل علماء اللاهوت التقليديين لا العقلانيين سيوف أقلامهم ليردوا كلام المنتقدين، بتمويهات يدحضها الحق ، ويردها المنطق ، ويكذبها الواقع.

وجاء في سلسلة الذين قاموا بالرد على علماء المسلمين الذين انتقدوا الكتاب المقدس ،القمص سرجيوس، الذي كان له في تاريخ الكنيسة صولات وجولات ، حتى تم حرمانه من الوعظ في الكنائس حيناً، فقد أفرد مصنفا له في هذا الشأن ، جمع فيه أدلة كثيرة على صحة الكتاب المقدس الذي بين أيديهم، وعلى عصمة الكتبة وإلهامهم ، وعلى عدم إمكان وقوع التحريف في كتبهم ، واستند في ذلك على أدلة من القرآن والتاريخ والعقل، فاستخرت الله – تعالي– بعد سنين عددا من شرائي لهذا الكتاب ، أن أقوم بتفنيد آرائه ، ومناقشة حججه ، مبتغيا الذود عن حياض الدين القيم، ومبرئا الأدلة القرآنية التي استند إليها من دلالتها على عدم التحريف ، ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث ، الذي وسمته بعنوان (دفاع القمص سرجيوس عن صحة الكتاب المقدس في ميزان النقد العلمي).

الدراسات السابقة .

لم أقف على أحد من الباحثين، أفرد في بحث له أو ورقة علمية ،نقد أدلة القمص سرجيوس على سلامة الكتاب المقدس من التحريف، من خلال كتابه الموسوم ب(رد القمص سرجيوس على القائلين

بتحريف التوراة والإنجيل) ، بل لم أعثر على بحث تناول شخصية القمص سرجيوس ومؤلفاته بالدراسة، على الرغم من كثرتها في مجال مقارنة الأديان.

حدود البحث .

نقد أهم أدلة القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ، من خلال كتابه الموسوم ب(رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل، أو تغييرهما وتبديلهما أو نسخهما) مطبعة المحيط – الفجالة – مصر ، بدون رقم طبعة وتاريخ).

أسئلة البحث .

١-من هو القمص سرجيوس؟

٢-ما هي أدلة القمص سرجيوس القرآنية والعقلية على سلامة التوراة والإنجيل من التحريف؟

٣-ما هي الأصول التي استند إليها القمص سرجيوس على عدم إمكان وقوع التحريف في التوراة والإنجيل اللذيْن بين أيديهم؟

منهج البحث.

المنهج التحليلي ، والمنهج النقدي.

إجراءات البحث.

١-عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها ،وذلك بذكر رقم الآية واسم السورة.

٢-عزو نصوص الكتاب المقدس إلى مواضعها ، وذلك بذكر اسم السفر والإصحاح ورقم الآية وتشكيل النص، وتمت الاستعانة بترجمة فان دايك للكتاب المقدس ، لأنها تمتاز بالدقة لدى المسيحيين[١].

٣-الاستعانة بالمصادر النصرانية- كثيرا- في المبحث الثاني من البحث.

٤- الردود في البحث متنوعة بين العقلية والنقلية.

٥- لم يتم نقل أدلة القمص سرجيوس إلا من خلال كتابه المقصود بالدراسة ، وتمت الاستعانة ببعض كتبه الأخرى قليلا، لتوضيح بعض آرائه.

---

(١) https://ebible.org/arb-vd/

٦- طول حجم البحث ، اقتضى الرد مفصلا على أدلة القمص سرجيوس، فحال ذلك دون ترجمة الأعلام الواردة في ثنايا البحث.

خطة البحث.

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة، وفيها بيان أهمية البحث ، والدراسات السابقة ، وحدود البحث، وأسئلته، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد ، وفيه نبذة عن القمص سرجيوس،وذلك من خلال بيان ما يلي.

أولا:حياته.

ثانيا:مؤلفاته.

المبحث الأول: أدلة القمص سرجيوس على صحة الكتاب المقدس من خلال القرآن الكريم ومناقشته فيها ، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أدلته القرآنية على سلامة التوراة والإنجيل من التحريف.

أولا: القرآن يأمر الرسول بسؤال أهل التوراة والإنجيل.

ثانيا: كلمات الله وسننه لا تتبدل.

ثالثا : هيمنة القرآن وتصديقه للكتب السابقة.

رابعا : وعد الله بحفظ الذكر.

خامسا :الأمر بالإيمان بالكتب السابقة.

سادسا: الأمر بإقامة التوراة والإنجيل.

المطلب الثاني : موقفه من الآيات القرآنية التي تثبت التحريف في التوراة والإنجيل.

أولا: دعواه بأن القرآن الكريم وكتب التفسير ليس فيهما شئ عن التحريف.

ثانيا : دعواه بأن أئمة المسلمين يقولون بأن تحريف التوراة والإنجيل أمر ممتنع.

ثالثا : دعواه بدهشة الإمام الرازي إن قال أحد بتحريف التوراة والإنجيل.

رابعا : دعواه بأن القائلين بالتحريف يعرضون قرآنهم للتناقض.

المبحث الثاني: أدلة القمص سرجيوس على أن الكتب المقدسة التي بين أيديهم موحى بها، وعلى عدم إمكان وقوع التحريف فيها ، وفيه مطلبان.

المطلب الأول:أدلته على أن الكتب المقدسة التي بين أيديهم موحى بها.

أولا: نزولها على أنبياء ورسل بررة صالحين، أطاعهم الناس وصدقوهم.

ثانيا : تحقق نبوءاتها.

ثالثا :عدم مناقضتها للعقل والحقيقة.

رابعا: وحدة معانيها.

خامسا : شرائعها تتوافق مع النفوس كما يوافق الهواء الرئتين.

المطلب الثاني: أدلته على عدم إمكان وقوع التحريف في التوراة والإنجيل.

أولا: جهالة تاريخ التحريف ومكانه.

ثانيا: وجود نسخ متعددة من التوراة والإنجيل.

ثالثا: اتفاق النسخ عند سائر الطوائف النصرانية.

رابعا: كتابات آباء الكنيسة واقتباساتهم من التوراة والإنجيل.

خامسا: اتفاق العقائد المسيحية المتضمنة في تأليفات الآباء المعلمين ، بالعقائد المسيحية المتمسك بها المسيحيون الآن.

ثم الخاتمة، ومثبت فيها النتائج والتوصيات ومصادر البحث.

هذا وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل فمني والشيطان، وحسبي أنني اجتهدت، واستفرغت وسعي وطاقتي ما استطعت ، وابتغيت خدمة ديني، وأداء بعض الواجب الذي في عنقي تجاه مسألة هامة من مسائل الدين، تتطلب توضيحا وبيانا وتفصيلا، لئلا يختلط الحق بالباطل، وأسأل الله لأهل الإسلام عزا، ولدينه نصرا.

التمهيد

وفيه نبذة عن حياة القمص سرجيوس وأهم مؤلفاته

أولا: نبذة عن حياة القمص سرجيوس.

« القمص سرجيوس عبد الملاك » شخصية فرضت نفسها على الوجدان العام طوال نصف قرن أو يزيد ، فهو يعتبر من أوائل الذين ثاروا داخل الكنيسة الأرثوذكسية المصرية مطالبين بإصلاحها ، وتهيئة حياة دينية وثقافية ومعاشية أفضل لرجال الدين ، كما كان من الطلائع التي دعت للوطنية المصرية، وقاتلت من أجل وحدة كل المصريين ضد الاحتلال والقهر.

اسمه الأصلي ملطي سرجيوس عبد الملاك ، وُلد في ١٦ مارس ١٨٨٣م في مدينة جرجا [(١)]،من أسرة من القسس ، وحلم وهو طفل أن يكون واعظا ، وتتبع بشغف وعظ الوعاظ الذين يجوبون البلاد ، ولا تتوافر لدينا أية معلومات دقيقة عن سرجيوس من عام ١٨٨٣م حتى عام ١٨٩٩م ، عندما يحدث التحول الكبير في حياته برحيله إلى القاهرة ، في السادسة عشرة من عمره للالتحاق بالمدرسة الإكليريكية[(٢)] ، واشتهر بالذكاء وسعة الاطلاع , وتخرج بعد أربعة أعوام واستبقته المدرسة ليعلم الصف الأعلى [(٣)].

ولقد خدم القمص سرجيوس واعظا في الزقازيق، ثم الفيوم، فملوى، ثم رسم قمصا على مطرانية أسيوط عام ١٩٠٧ ، وفي عام ١٩١٢ عين وكيلا لمطرانية الخرطوم بالسودان .

–وهو أول قسيس يعتلى منبر الأزهر للخطابة أثناء ثورة ١٩١٩م.

–وفي عام ١٩٤٤ عين وكيلا للبطريركية.

–وفي عام ١٩٥٠ نجح في انتخابات المجلس الملي، وبهذا فتح باب عضوية المجلس الملي للكهنة.

– وكان رئيس تحرير مجلة المنارة ، حتى تم إغلاقها بسبب انتقاداته المتكررة للدولة ، وصدر قرار من وزارة الداخلية بالبقاء في منزله وعدم الخوض في السياسة ، وتم منعه حتى من الوعظ في الكنائس

---

(١) د/ محمد عفيفي ، الدين والسياسة في مصر المعاصرة – القمص سرجيوس ص ١٢ ، دار الشروق ط١ سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٢)الدين والسياسة في مصر المعاصرة – القمص سرجيوس ص ١٣ ، وانظر : صلاح عيسى ، هوامش المقريزي ص ٢٠٩، المجموعة الثانية ، دار القاهرة للنشر سنة ١٩٨٣م ، والمدرسة الإكليريكية هي التي تقوم بتخريج القساوسة والكهنة من الأقباط الأرثوذكس.

(٣) صلاح عيسى ، هوامش المقريزي ص ٢٠٩، المجموعة الثانية، مصدر سابق .

، ساعدها على ذلك أن الكنيسة القبطية كانت قد حرمته من قبل، واشتد عليه المرض في سنواته الأخيرة حتى توفي ٥/٦/ ١٩٦٤ م وله من العمر ٨١ عاما[١]، ومن الكتب التي تناولت حياته مفصلة كتاب للدكتور محمد عفيفي ، وسمه بعنوان (الدين والسياسة في مصر المعاصرة– القمص سرجيوس) [٢].

ثانيا : **مؤلفاته**.

للقمص سرجيوس مؤلفات عديدة ، رد فيها على كل من يهاجم دينهم من علماء المسلمين في عصره ، ويستند في ردوده على أدلة قرآنية ، وعلى كلام أئمة المسلمين، ليرمينا بسهامنا ، ويلزمنا بأقوالنا ، ويحيلنا على كتبنا وأقوال علمائنا وأئمتنا، وعدد مؤلفاته المطبوعة التي عثر الباحث عليها ثمانية ، هي كالتالي:

١–رد القمص سرجيوس على الشيخ العدوي حول التثليث والتوحيد.

٢– رد القمص سرجيوس على الشيخ الطنيخي وآخرين حول سر المائدة أو القربان و موضوعات أخرى.

٣–الدكتور لوقا نظمى في الميزان (ردا على كتابه محمد الرسالة والرسول) .

٤–هل تنبأت التوراة أو الإنجيل عن محمد؟

٥– الرد على الشيخين الطنيخي والعدوى حول تجسد الله ولاهوت المسيح.

٦–هل تنبأت التوراة عن المسيح؟

٧– الرد على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل.

٨– رد القمص سرجيوس حول حقيقة صلب المسيح وموته.

---

(١) انظر:الدين والسايسة ص٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، وانظر:منتدى كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس ، http://margirgis.own٠.com/t٣٢٥-topic ، وفي مجلة المنارة المصرية التي أسسها القمص سرجيوس مقالات متعددة عن ذكرياته عن الحركة الوطنية . انظر مثلا عدد الجمعة ٨ مايو ١٩٣٦م ص ٧ ، المقال بعنوان (إلى المنفى – ذكريا ت القمص سرجيوس عن الحركة الوطنية) ، وعدد الجمعة ١٧ أبريل سنة ١٩٣٦م ، ص ٧ ، المقال بعنوان (وقام بنا القطار من حيث لا أدري).

(٢) سبقت بيانات الكتاب.

وسيلاحظ الناظر في كتبه أنه كان متعصبا لدينه غاية التعصب ، ولا غرو فهو يعد من علماء اللاهوت التقليديين ، الذين يؤمنون بدينهم إيمانا وثيقا ، ويطرونه في إغراق ، ويردون عنه السهام المصوبة تجاه نقده.

وهذا ما دعاه إلى أن يجرد قلمه للرد في قسوة وعنف ، على كلام أي عالم من علماء المسلمين يصنف كتابا في نقد دينهم ، وقائمة مؤلفاته السابقة ،خير دليل على ذلك ، وسوف يكون عمل الباحث خاصا بفحص الأدلة التي ساقها في كتابه السابع (الذي هو خاص بالرد على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل) ، مستدلا من خلالها على عدم تحريف التوراة والإنجيل ، وذلك بوضعها تحت مجهر الكتاب والسنة والعقل والعلم والتاريخ ، ومناقشته في ضوء هذه الدائرة ، والنقاش بعدُ سديد مفيد، حتي يتبين لكل ذي عقل سليم مدى الصحة التي طرحها في آرائه في هذا الكتاب ، ومدي الأخطاء التي زلت فيها قدمه ، ليدافع بها عن دينه ومعتقده .

المبحث الأول :

أدلة القمص سرجيوس على صحة الكتاب المقدس من خلال القرآن الكريم

المطلب الأول : أدلته القرآنية على سلامة التوراة والإنجيل من التحريف.

أتي القمص سرجيوس بأدلة قرآنية متعددة ، محاولا من خلالها إثبات عدم التحريف في التوراة والإنجيل الموجوديْن بين أيديهم ، ونود هنا إبراز الآيات القرآنية التي استدل بها ، ومناقشته مناقشة هادئة وموضوعية في كل توجيه له ، حسِب أنه سينفعه في الاستدلال على ما يريد ، وأراد أن يقنع نفسه وأهل ديانته بصحة ما هم عليه من اعتقاد ودين ، وسوف ينتظم الحديث عن ذلك من خلال النقاط الآتية.

أولا: القرآن يأمر الرسول بسؤال أهل التوراة والإنجيل.

ذكر القمص الآية القرآنية التي أمر الله – تعالى – رسوله – صلى الله عليه وسلم – فيها ، بسؤال أهل الكتاب ، إن شك فيما أُنزل إليه ، أو استحوذ عليه ريب في ذلك، وهي قوله – تعالى – : ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾[يونس:٩٤]، وطرح استفهاما إنكاريا، لينكر على المسلمين إيمانهم بأن الكتب السابقة محرفة ، محاولا إثارة المسلمين ، وسلب عقولهم وإيمانهم ، وتشكيكهم فيما يؤمنون به من أن التوراة والإنجيل الحاليين محرفان ، فيقول:

(ألا تقول معي أيها المسلم ،كيف يحيل الله محمدا على أهل كتاب محرف ليسألهم ويزيل الشك من قلبه ، وأنت وأنا نعلم أنه لا يزيل الشك من قلب الإنسان إلا اليقين، وإذا كان الله يعلم أن التوراة

والإنجيل قد سبق تحريفهما قبل نزول القرآن ،فكيف يجعل من سؤال أصحابهما مزيلا لشك محمد ، وهو تعالى يعلم أنهما كتابان محرفان؟ (١).

و هذه الآية التي يوردها القمص، لا تساعده في الاستدلال على ما زعم ، لأنها تؤكد على أن أهل الكتاب كانوا يعلمون صفات رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، من خلال البشارات بمولده ومجيئه في كتبهم ، وهي من الأمور التي أبقاها الله وحفظها من التبديل ، حتى تكون برهانا عليهم وشاهدا في وجوب إيمانهم برسول الله وتصديقهم بالوحي إليه ، ودليلا قاطعا على عدم اتباعهم لكتبهم ، و أنهم قاموا بتحريفها وتبديلها .

قال الإمام الرازي(ت ٦٠٦هـ):(فإن قيل: إذا كان مذهبكم أن هذه الكتب قد دخلها التحريف والتغيير، فكيف يمكن التعويل عليها؟

قلنا: إنهم إنما حرفوها بسبب إخفاء الآيات الدالة على نبوة محمد –عليه الصلاة والسلام، فإن بقيت فيها آيات دالة على نبوته ،كان ذلك من أقوى الدلائل على صحة نبوة محمد –عليه الصلاة والسلام، لأنها لما بقيت مع توفر دواعيهم على إزالتها ، دل ذلك على أنها كانت في غاية الظهور) (٢).

وقال ابن كثير(ت ٧٧٤هـ) : (في الآية تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم –صلى الله عليه وسلم– موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم، يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به، مع قيام الحجة عليهم)(٣)

وعلى هذا فسؤال أهل الكتاب إنما هو سؤال تقرير وسؤال إشهاد لهم عن صفات رسول الله ونعوته ، أهي في كتبهم أم لا؟ أوجدوها فيما أنزل الله علي أنبيائهم أم لا؟ ، وسؤالهم أيضا عن القصص التي يتحدث عنها القرآن الكريم ، أيوجد مثلها في كتبهم أم لا؟ لكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ١٨، مطبعة المحيط بالفجالة – مصر، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٢)أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ١٧/ ٣٠٢ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، سنة ١٤٣٠هـ.

(٣) الحافظ عماد الدين ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢٥٨/٤ ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، المحقق: محمد حسين شمس الدين ،ط١ سنة ١٤١٩ هـ.

لم يشك ولم يسأل (فعن قتادة بن دعامة قال : بلغنا أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «لا أشك ولا أسأل» وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري) (١).

وليس معني أن التوراة والإنجيل قد تم تحريفهما ، أنه لم يبق فيهما شيء البتة من الكلام الصحيح المنزل على موسى وعيسى ، كلا ، وإنما هناك بقية فيهما مما أنزل الله ، وإن كانت قليلة ومتعذر تعيين بعضها في خضم الكثير مما حُرّف وبُدّل ، ومن يقرأ الكتاب المقدس، بأناة ووعي تامّين، يجد بين دفتيه الصحيح وغيره ، ما يوافق ما جاء به الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – وما يضاده ، ما يدعو إلى التوحيد الخالص ، وما يدعو إلى الشرك والكفر ، ما يدعو إلى تنزيه الله ، وما يدعو إلى التجسيم والتشبيه ، ما يدعو إلى أنه إله واحد ، وما يدعو إلى أنه ثالث ثلاثة ، ما يدعو إلى مكارم الأخلاق، وما يدعو إلى أراذلها، ما فيه من نسبة الأخلاق الحسنة إلى الأنبياء ، وما فيه من نسبة الخسائس والنقائص إليهم.

وأمْرُ الله لرسوله بسؤال أهل الكتاب يؤكد على هذه الحقيقة ، وهي أنه مع تحريف التوراة والإنجيل إلا أن بين دفتيهما توجد أدلة واضحة على صفات نبي آخر الزمان ونعوته، ولم لا ؟!!! ، وقد أخذ الله العهود والمواثيق على جميع الأنبياء والرسل– عليهم السلام ، إن بُعث محمد – صلى الله عليه وسلم ، وهم أحياء أن يؤمنوا به وأن يتبعوه ، بل وأمرهم الله ببلاغ الميثاق لأقوامهم.

وهذا يعززه تاريخيا – أيها القمص– والتاريخ لا يكذب –ما يلي.

– إسلام بعض الصحابة كسلمان الفارسي– الباحث عن الحقيقة ، ومن كانوا يهودا في السابق كعبد الله بن سلام و ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعيد وأسد بن عبيد وغيرهم ، ممن أدركوا تحقق دلائل النبوة التي يعرفونها من الكتب السابقة في شخص الرسول – صلى الله عليه وسلم.

وعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ رجال مِنْ قَوْمِهِ قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام – مع رحمة الله تعالى وهُداهُ لنا – لِما كُنَّا نسمع من رجال يهود , كُنَّا أهلَ شِرك , أصحاب أوثان , وكانوا أهلَ كتاب , عندَهم علم ليس لنا , وكانت لَا تزال بيننا وبينهم شُرور , فإذا نِلْنا منهم بعض ما يكرهون , قالوا لنا: إنه قد تقارب زمانُ نبيٍّ يُبْعث الآن , نقتلكم معه قتلَ عادٍ وَإِرَمَ , فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم، فلما بَعَثَ اللهُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – أَجَبْناه حين دعانا إلى الله , وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به , فبادرناهم إليه , فآمنا به , وكفروا به , ففينا وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ

(١)المصدر السابق من نفس الموضع.

كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ , وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا , فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[البقرة ٨٩][(١)].

– معرفة ورقة بن نوفل أن محمدا بن عبد الله هو نبي آخر الزمان ، وذلك حين قصت خديجة بن خويلد عليه ، نبأ نزول الوحي على الرسول لأول مرة ،وتمني أن يعيش حتى يبعث ليؤمن به.

– معرفة هرقل –عظيم الروم–وكان على دين النصرانية– صفات الرسول التي سأل عنها أبا سفيان ورهطه ، ولما رآها متحققة في شخص الرسول ، متكاملة في ذاته الشريفة ، دالة على جنابه المنيف، اعترف بأنه هو النبي الذي سيسحب منه بساط ملكه وما تحت قدميه.

– بكاء النجاشي وأساقفته– وكانوا نصارى– حينما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب صدر سورة مريم ، وقول النجاشي بأن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

فهذه شهادات تاريخية عظيمة، وحجج دامغة قوية ، دالة على أن علامات الرسول ودلائله وصفاته كانت مسطورة في الكتب السابقة، واضحة بين أيدي اليهود والنصارى،ولهذا يقول الله – تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة ١٤٦:].

ثانيا : كلمات الله وسننه لا تتبدل.

من المغالطات المقنعة بالحيلة والخداع وقلب الحقائق، ما ذكره القمص في سياق استدلالاته على عدم تحريف التوراة والإنجيل ، بأن كلمات الله وسننه لا يستطيع أحد تبديلها ولا التغيير فيها ، ويبني على ذلك أنه غير ممكن تحريف التوراة والإنجيل ، والعلة – بنظره – أنهما كلمات الله.

يقول القمص : (ومما يؤيد هذا قوله في سورة يونس : ﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ [يونس:٦٣] ،وقوله في سورة الفتح: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح:٢٣]، وكيف يمر بعقل مؤمن بالقرآن، أن يسمع القرآن يقول : ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح:٢٣] ، ثم يقول: أنه وُجد من يبدل سنة الله ،ويشهد ضد وعد القرآن على أن الله رجع عن وعده –تعالي، وأخلف عهده ومواثيقه، وترك اليهود و النصارى يحرفون التوراة والإنجيل، الذي فيهما سننه وأحكامه [(٢)].

---

(١) الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، صحيح السيرة النبوية ص ٥٧،المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن ، ط١ ، يدون تاريخ.

(٢)رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٢٤ ، مصدر سابق.

والرد على هذه الشبهة بسيط إذا وقفنا على أن معني قوله : ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ [يونس:٦٣]: (أي لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده، كقوله تعالى : ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ [ق:٢٩] ، وذلِكَ إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين، وكلتا الجملتين اعتراض)(١) ، فالمعنى لا خُلف في مواعيده بوقوع البشارة للمتقين في الدنيا والآخرة ، وليس كما زعم.

أمّا استشهاد سرجيوس بقوله تعالى : ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح:٢٣]، فإن المراد بالآية بعيد عما تراءى له ، وقصد إياه ، ولا علاقة لها بأي وجه من الوجوه على عدم إمكان تحريف التوراة والإنجيل ، إلا في خياله.

وذلك لأن صدر الآية هو قوله تعالى:﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح:٢٣]، والمقصود أنه: لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش، لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم ، خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به، الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مضوا قبلهم ، فالمعنى : سننت فيهم الهزيمة والخذلان، أما قوله ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا﴾ [الفتح:٢٣]، فمعناها أي : ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا، بل ذلك دائم، للإحسان جزاؤه من الإحسان، وللإساءة والكفر العقاب والنكال (٢).

فليت شعري! أين ذلك المعنى من الفهم البعيد الذي أراد القمص أن يؤول آيات القرآن به؟!!! ، وأنَّى تدل تلك الآيات القرآنية على عدم وقوع التحريف في التوراة والإنجيل؟!!!

ثالثا : هيمنة القرآن وتصديقه للكتب السابقة .

آفة سرجيوس أنه ينقل من كتب تفسير القرآن ، ليبرر ما يذهب إليه من عدم تحريف الكتب السابقة ، مريدا بذلك أن يُرِيَ أتباعه مدى سعة ثقافته الإسلامية ،و بُعد عمق اطلاعه على كتب المسلمين ، وهذا ما يلمسه أي قارئ في كتبه ، وكثيرا ما يلهث ليجد ما يتكأ عليه ، لكن يعود – دائما – خاوى الوفاض ، خائب الرجاء ، خاسر الكسب.

ففي هذا الدليل أتي بمعنى هيمنة القرآن على الكتب السابقة، من خلال كتب التفسير، ولكن بعُد استنتاجه ، وخانه عقله ، وراح كمن استخرج من البحر اللآلئ والصدف الرائعة ، إلا أنه لم يستفد بها في شيء ، فضاع سعيه.

---

(١) تفسير الزمخشري ٣٥٧/٢ = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣ ١٤٠٧ هـ..

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري٣٢٥/٢٢، المحقق: أحمد محمد شاكر . مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

يقول القمص:(إن المسلم الذي يقول أن التوراة والإنجيل قد تحرفا وتبدلا وتغيرا ، إنما يطعن في مهمة القرآن التي أنيطت به كما جاء في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨] . والهيمنة معناها الحراسة والحفظ كما فسر هذا أئمة المسلمين ، وإذا كانت التوراة والإنجيل قد تحرفا بعد القرآن المهيمن فيكون هذا اتهاما لأهل القرآن بالتفريط في أهم الواجبات التي جاء القرآن لتأديتها ، وكان من أقدس الواجبات وأوجبها على أصحاب القرآن أنهم على الأقل يحتفظون بنسخة أو بعض النسخ من التوراة والإنجيل ،يعرفونها جيد المعرفة ،و يقفون على كل فصل من فصولها وسفر من أسفارها ، ليقوموا بواجب الهيمنة والحراسة على الوجه الأكمل (١).

ويرى أيضا (أنه كيف ينزل القرآن الذي تقولون إنه كتاب الحق – مصدقا على كتاب محرف لعبت به أيدى التغيير والتبديل؟ والنتيجة المنطقية لطيشكم هي : أن الذي يصادق على المحرف محرف ، والذي يصادق على الباطل باطل ، فكيف ينزل القرآن مهيمنا على كتاب محرف، تغير وتبدل ؟)(٢).

والحق أن القمص فهم خطئا معنى الهيمنة القرآنية، حيث اختار لها معنيان هما (الحراسة والحفظ)، وراح بعيدا في غور فهمه لهما، فجعل العيب عند المسلمين الذين لم يحافظوا على التوراة والإنجيل، وقد أمرهما الله – برأيه – بحفظهما وحراستهما ، على الرغم من أن حفظهما (لا فرضا ولا سنة علي أقوامهم ،بل كَانَ كل وَاحِد من الهارونيين يحفظ فصلا من التَّوْرَاة)(٣)، ولا يوجد أدني دليل يوجب على المسلمين الحفاظ على التوراة والإنجيل والحيلولة دون ضياعهما وتحريفهما إلا في الخيال، ولماذا لم يحافظ أهل الإنجيل على الإنجيل الذي أنزله الله – تعالى – على عيسى؟!!

ونوضح أن الهيمنة القرآنية على الكتب السابقة التي أراد أن يتكأ القمص على مفهومها ، وأرغى لها وأزبد ، لها معاني متعددة مثل التصديق والشهادة والحاكمية والائتمان، فعن ابن عباس ، ومهيمنا : أي مؤتمنا عليه، قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله، وقال ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، وعن الوالبي عن ابن عباس : ومهيمنا ، أي : شهيدا، وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي.

---

(١) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٢٤ ، ٢٥، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق من نفس الموضع باختصار.

(٣) سعد بن منصور بن كمونة اليهودي ، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص ٣٠ ، دار الأنصار – القاهرة ، بدون رقم طبعة وتاريخ ، وانظر : السموأل بن يحيى بن عباس المغربي ، إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل، ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٣٩، المحقق: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الجيل – بيروت ، ط٣ سنة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

وقال العوفي عن ابن عباس: ومهيمنا ،أي : حاكما على ما قبله من الكتب، وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ،حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات، ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها ، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] (١).

و الهيمنة بمعنى الحراسة ، لا يُقصد بها ما ذهب القمص إليه من فهم ، ولا ما إياه وعى قلبه ، لأن معنى الحراسة :الرقابة ،والقصد من "الرقابة" هو أن القرآن الكريم بوصفه آخر الكتب الموحى بها، وبكونه رقيبا على الكتب الأخرى، يحدد الصحيح فيها من غير الصحيح، وهو المعيار النقدي للتعرف على بقايا الوحي في الكتب السابقة، وتحديد ما لا ينتسب إلى الوحي منها.

أمّا الهيمنة بمعنى "الحفظ "، فإن معناها أن القرآن الكريم أحاط بالكتب السابقة ، وعرّف بها في شكلها الإلهي الصحيح ، من خلال ما ورد في القرآن الكريم من أخبار عن الديانات السابقة ، ومن نقد ديني وأخلاقي لما وقع فيه أهل الكتب السابقة من تغييرات أصابت الدين والأخلاق ، فوضح القرآن الكريم، الصحيح الذي أتي به الأنبياء والرسل السابقون– عليه السلام ، وبيّن الزيف الذي وقع فيه أقوامهم ، والتغيير الذي أجروه على الاعتقاد الصحيح ، وقد حافظ القرآن الكريم على الاعتقادات الدينية الصحيحة للأديان السابقة ، بعد أن ضيّع الإنسان النصوص المقدسة التي وصلته عن طريق الأنبياء والرسل ، فحُفظت بذلك المعتقدات على مستوى المعنى بعد أن ضاعت على مستوى النص(٢).

أما قوله بأن القرآن نزل مصدقا لكتبهم ، فإن هذا القول صحيح، لكن نزل القرآن مصدقا للتوراة والإنجيل ، وليس للعهد القديم والعهد الجديد ، مصدقا لما أُنزل على موسى وعيسى، لا على ما كتبته أيديهم على أنه كلام الله ، مصدقا للحق الذي أنزله – سبحانه – عليهما ، لا على الكذب الموجود بين أيديهم ، وهل يستطيعون أن يذكروا لنا أي توراة جاء القرآن مصدقا لها ، وأي نسخة منها ، وأي أسفار لها؟

وهل يستطيعون أن يذكروا لنا أي الأناجيل الذي جاء القرآن مصدقا له ، من بين الأناجيل التي أربت على العشرات ، والتي رفضت الكنيسة منها ما يخالف رغبتها؟

---

(١)تفسير ابن كثير٣/١١٦، مصدر سابق.

(٢)د /محمد خليفة حسن ،علاقة الإسلام باليهودية ، ص ٢٥٥، ٢٥٦, دار الثقافة، سنة ١٩٨٨م.

نريد إنجيلا واحدا ، لا أربعة أناجيل تقبلها الكنيسة ، لأن الله لم ينزل إلا إنجيلا واحدا ، ولم يأت القرآن إلا بتصديق إنجيل واحد ، فأين هو الذي نزل على عيسى – عليه السلام ، والذي كان يعظ الناس بوصاياه ؟ كما ورد في إنجيل مرقس ١: ١٤-١٥: (وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى ٱلْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ ٱللهِ، وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ ٱلزَّمَانُ وَٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِٱلْإِنْجِيلِ).

ويرد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) على فرية النصارى تلك بقوله : (ادعوا أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – صدق بجميع ألفاظ الكتب التي عندهم ، فجمهور المسلمين يمنعون هذا ، ويقولون إن بعض ألفاظها بُدّل ; كما قد بُدّل كثير من معانيها، ومن المسلمين من يقول: التبديل إنما وقع في معانيها لا في ألفاظها، وهذا القول يقر به عامة اليهود والنصارى.

وعلى القولين فلا حجة لهم في تصديق محمد – صلى الله عليه وسلم – لما هم عليه من الدين الباطل، ويقال لهم: أين ما معكم عن محمد – صلى الله عليه وسلم – مما يدل على أن ألفاظ الكتب التي بأيديكم لم يغير فيها شيء؟[(١)].

رابعا : وعد الله بحفظ الذكر.

لا يجب تأويل آيات القرآن الكريم حسب الأهواء والأمزجة ، وإنما هناك قواعد للتفسير والتأويل ، وهناك مراحل أيضا يتبعها المفسر أثناء تفسيره لآيات القرآن ، من أهمها المرحلة الأولي ،وهي تفسير القرآن بالقرآن ، لأن هناك آيات كثيرة ، ورد توضيح معانيها في آيات أُخَر ، بيد أن القمص سرجيوس أورد هنا آيات قرآنية ليستدل بها على عدم وقوع التحريف في كتبهم ،وتلك الآيات بعيدة عن نطاق الاستدلال.

يقول : (قال تعالى : ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الكهف:٢٧]، فقد اعتبر القرآن توراتنا وإنجيلنا ذكرا وفرقانا وضياء وذكرى ، ووعد بحفظ هذا الذكر وعدم تبديله وأمر المسلمين أن يسألونا في مالا يعلمون.

أليس هذا دليلا على أن القرآن يعتبر كتبنا المقدسة صحيحة وغير محرفة وموضع ثقة ويقين ؟ وماذا يكون موقفكم أيها القائلون بتحريف التوراة والإنجيل لو أن بعضا ممن يؤمنون بالقرآن ويأتمرون بأمره ويهتدون بهديه ،أخذوا طريقهم إلى أصحاب التوراة والإنجيل ،عملا بقول القرآن، ليسألوا أهل الذكر عما كانوا لا يعلمون ، وصادفوكم في طريقهم وقالوا لكم: نحن ذاهبون إلى أهل الذكر نسألهم عما لا

---

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ٢/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد ، دار العاصمة، السعودية ، ط٢ سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

نعلم ، فهل كنتم تقولون لهم : ارجعوا ولا تسألوهم ، لأن ذكرهم قد تحرف وتغير ، وهل كانوا يصدقونكم أم يصدقون القرآن الذي قال لهم اسألوا أهل الذكر؟(١).

وقال:(كيف يقول القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ [الحجر:٩]، ثم بعد ذلك يترك التوراة والإنجيل، اللذين هما الذكر ،يعبث بهما العابثون، يحرفونهما ويبدلونهما ويغيرونهما ؟ (٢)

ولا ندري لماذا يدخل القمص في بيت فسيح وهو لا يدري كيف يسير فيه ، ولا كيف يمتطي مركبة عالية وهو يجهل كيف يقودها ؟ ولا كيف يلج تخوما نائية عن فهمه، وبعيدة عنه سبر أغوارها ، ولا يعرف ما بينها من روابط وصلات؟

فمعني ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف:٢٧]، أي لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك، أهل معاصيه، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك (٣) ، وقال الكلبي : لا مغير للقرآن[٤]، وقال القرطبي (ت ٦٧١هـ): (أي اتبع القرآن، فلا مبدل لكلمات الله ،ولا خلف فيما أخبر به من قصة أصحاب الكهف)[٥] ، فهل هو نفس المعني الذي قصده القمص ، أم أنه قلب للحقائق الظاهرة ، واستخفاف بالعقول التي آتاها الله البشر؟

ولو أوتى ذرة من عقل من يستدل بهذه الآية ، على ما أراد ، ما استدل بها ، ولا حتى عنىَ بمجرد التفكير فيها، وذلك لأن أولها قول الله تعالى : ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الكهف:٢٧]، فهي واضحة الدلالة على أن المقصود بها القرآن الكريم.

أما عن سؤال أهل الذكر، فقد ورد مرتين في كتاب الله، أولاهما في سورة النحل، وهي قوله تعالى : ﴿وَما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣] ، وهذه نزلت في مشركي مكة ، وليس في أصحاب الرسول – كما زعم سرجيوس– ملبّسا، أنهم يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم.

---

(١) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٢٠ ، مصدر سابق.
(٢) المصدر السابق من نفس الموضع .
(٣)تفسير الطبري ١٧/ ٦٥١، مصدر سابق.
(٤)محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ١٨٨/٣، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت ،ط١ سنة ١٤٢٠هـ.
(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ٣٨٩/١٠ ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

قال القرطبي(ت ٦٧١هـ):(نزلت في مشركي مكة، حيث أنكروا نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم– وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فهلا بعث إلينا ملكا، فرد الله– تعالى– عليهم بقوله:﴿وما أَرْسَلْنا مِن قَبْلَكَ ﴾، إلى الأمم الماضية يا محمد، ﴿ إِلَّا رِجالًا﴾ ، آدميين، ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ قال سفيان: يعني مؤمني أهل الكتاب﴿إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾يخبرونكم أن جميع الأنبياء كانوا بشرا. وقيل: المعنى ، فاسألوا أهل الكتاب، فإن لم يؤمنوا، فهم معترفون بأن الرسل كانوا من البشر ، روي معناه عن ابن عباس ومجاهد. وقال ابن عباس: أهل الذكر : أهل القرآن وقيل: أهل العلم، والمعنى متقارب(١).

وقال الرازي(ت ٦٠٦هـ):(الظاهر أن هذه الشبهة وهي قولهم: الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله واحدا من البشر إنما تمسك بها كفار مكة، ثم إنهم كانوا مقرين بأن اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب ،فأمرهم الله بأن يرجعوا في هذه المسألة إلى اليهود والنصارى، ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها، فإن اليهودي والنصراني لا بد لهما من تزييف هذه الشبهة وبيان سقوطها(٢).

أما الآية الأخرى فهي في سورة الأنبياء ، وهي للمشركين أيضا ، وليست لمن أسلم من الصحابة ، يقول البيضاوي(ت ٦٨٥هـ) في تفسيرها: قوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء:٧] ، جواب لقولهم : ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء:٣] فأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة ، والإحالة عليهم إما للإلزام ، فإن المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– ويثقون بقولهم، أو لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم وإن كانوا كفاراً(٣).

ومن هنا يبطل قول القمص بأن المراد بالآية أن يسأل المسلمون أهل الكتاب ، لأن الآيتيْن وردتا في شأن المشركين ، لا المسلمين ، أما المراد بالذكر في الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ [الحجر:٩] ، فليس التوراة والإنجيل كما زعم القمص سرجيوس، وإنما هو القرآن الكريم ، كما قال القرطبي (ت ٦٧١هـ) : قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن. ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ من أن يزاد فيه أو ينقص منه. قال قتادة وثابت البناني: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلا أو

---

(١)المصدر السابق١٠/ ١٠٨.

(٢) تفسير الرازي٢٠/ ٢١١ ،مصدر سابق.

(٣)ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/٤٦، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٨ هـ.

تنقص منه حقا، فتولى– سبحانه –حفظه ، فلم يزل محفوظا، وقال في غيره : ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللهِ ﴾ [المائدة:٤٤] ، فوكل حفظه إليهم، فبدلوا وغيروا(١).

وسياق الآيات يؤكد على أن المراد بالذكر هو القرآن ، فقبلها ليس بقليل قال تعالي: ﴿وَقَالُواْ يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦] ، لكن القمص أراد تقرير استدلاله على وجه صناعي هكذا: الله سبحانه حفظ الذكر، والذكر هو التوراة. فالله حفظ التوراة، لكن المقدمة الأولى مهملة، وشرطها في الإنتاج أن تكون كلية، هكذا: الله حفظ كل ذكر. والتوراة ذكر، لكن ليس التقدير هذا (٢).

أما الآية التي فيها وصف التوراة بأنها ذكر ، فإن القمص يقصد قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء:٤٨]،وكلمة ذكر هنا معناها : التذكرة، (٣)،والموعظة(٤) ، أي وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته ، وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه، ذكرّهم بما آتى موسى وهارون من التوراة(٥)،

خامسا :الأمر بالإيمان بالكتب السابقة.

بسبب عدم تفرقة سرجيوس بين الكتب الحقيقية المنزلة على موسى وعيسى– عليهما السلام ، وبين ما بأيديهم من كتب ، اعتقد خطئا ، أنه كيف يأمر الله المسلمين أن يؤمنوا بالكتب السابقة وهي كتب محرفة؟ ، وهو يظن بذلك أنه بلغ الغاية ، وأنجح ، ووصل المنزل ، وحقق انتصاراته.

يقول:(فكيف يجعل الله مصير الناس متوقفا على الإيمان بكتاب محرف غيرته أيدي الناس ولعبت به الأهواء والشهوات ، وكيف يأمر القرآن الذين آمنوا ألا يفرقوا بين قرآنهم وبين الذي أنزل من قبل ، وهو تعالى يعلم بأن الذي أنزل من قبل محرف ومتغير ، ألا يكون هذا اتهاما لعدالة الله وحكمته؟ (٦).

---

(١)تفسير القرطبي ١٠/٥-٦ ، مصدر سابق.

(٢)سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين،الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية١/٢٩٩، المحقق: سالم بن محمد القرني ، مكتبة العبيكان – الرياض ط١ سنة ١٤١٩هـ.

(٣)تفسير ابن عطية ٨٥/٤ =المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١ سنة ١٤٢٢هـ.

(٤)تفسير الزمخشري ٣/ ١٢١ ،مصدر سابق.

(٥)تفسير الطبري ٤٥٤/١٨، مصدر سابق.

(٦) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٢١، مصدر سابق.

وهنا أهمس في أذن القمص بملء فيّ قائلا : نعم أيها القمص ، أمرنا الله – تعالي – بالإيمان بالتوراة والإنجيل وبالزبور، لكن ليس الإيمان بهم بعد التحريف الذي جرى عليهم ، بواسطة رجال دين أو سواهم ، وإنما نؤمن بهذه الكتب كما أنزلها الله على هؤلاء الأنبياء ، فنؤمن بالتوراة المنزلة على موسى ، وبالإنجيل المنزل على عيسى ، وبالزبور المنزل على داود – عليهم السلام ، بل نحن مأمورون – إجمالا – أن نؤمن بأي كتاب أنزله الله على أي رسول من رسله ، حتى وإن لم نعلم اسمه ، ولا القوم الذين نزل إليهم ، قال تعالي: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالى :﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

و ربما يعلم القمص أن الإيمان بالكتب السابقة في الإسلام ركن من أركان الإيمان ، فمن أنكر بعضها كفر، أما القصص والحكايات والروايات الباطلة الواردة في التوراة والإنجيل والزبور بعد ثبوت تحريفهم فلا يكفر جاحدها ، ولا يخرج من الملة منكرها ، لأن الله – تعالى – هو من أخبرنا بتبديل تلك الكتب وتحريفها عن الصورة التي أنزلها على رسله.

قال الإمام ابن حزم(ت ٤٥٦هـ):(أمّا إقرارُنا بالتوراة والإنجيل، فنعم، وأي معنى لتمويهكم بهذا، ونحن لم ننكرهما قط بل نكفِّر من أنكرهما؟ إنما قلنا إن الله تعالى أنزل التوراة على موسى حقاً، وأنزل الزبور على داود حقاً، وأنزل الإنجيل على عيسى حقاً، وأنزل الصحف على إبراهيم وموسى حقاً، وأنزل كتباً لم تُسمَّ لنا، على أنبياء لم يُسَموا لنا حقاً، نؤمن بكل ذلك.

وقلنا ونقول: إن كفار بني إسرائيل بدّلوا التوراة والزبور، فزادوا ونقصوا، وأبقى الله –تعالى– بعضها حجة عليهم كما شاء، ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون ﴾[الأنبياء : ٢٣] ﴿لا معقب لحكمه﴾ [الرعد :٤١]، وبدَّل كفار النصارى الإنجيل كذلك ، فزادوا ونقصوا، وأبقى الله –تعالى– بعضها حجة عليهم كما شاء،﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون ﴾[الأنبياء : ٢٣] . فدرسَ ما بدلوا من الكتب المذكورة[١].

سادسا: الأمر بإقامة التوراة والإنجيل.

كثيرا ما يستدل القساوسة على صحة ما بين أيديهم من كتب، بأن الله أمر في القرآن بإقامة التوراة والإنجيل وتحكيمهما في شئون حياتهم وأمور معاشهم ، ويجعلون ذلك مدعاة إلى صحة جميع ما

(١) ابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١٥٧. مكتبة الخانجي ، القاهرة، بدون رقم طبعة وتاريخ .

جاء فيهما ، يقول القمص :(فلو أن التوراة كانت محرفة في زمن محمد، لكان القرآن يمتدح الذين يرفضون التوراة والإنجيل ولا يعملون بحكمهما ، ولكنه تعالى قد هدد الذين لا يقيمونهما ويعتبرهم كافرين بتوعدهم بصارم العقاب(١).

ونفس الكلام يقوله القس أغسطينوس حنا : (ولو كانت التوراة محرفة في زمن القرآن لامتدح الذين يرفضونها ، ولكنه ها هو يهدد الذين لا يقيمونها بصارم العقاب ، ويعتبرهم كافرين ، وفي جهنم خالدون)[٢].

ونرد على هذه الشبهة بتوضيح أن الله – تعالى– أمر بإقامة التوراة والإنجيل على سبيل التحدي لليهود والنصارى ، لأنهم لو أقاموهما لصدقوا برسالة النبي – محمد – صلى الله عليه وسلم ، ولشهدوا لله بالوحدانية ، فالله يتحداهم بإقامتهما كما أنزلهما ، ويعلم أنه محال منهم أن يفعلوا ذلك ، بسبب تحريفهم لهذه الكتب وتبديلهم لما جاء فيها.

قال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ):(وأما قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون﴾ [المائدة:٤٧] ، فحق على ظاهره ، لأن الله –تعالى– أنزل فيه الإيمان بمحمد –صلى الله عليه وسلم –واتباع دينه ، ولا يكونون أبدا حاكمين بما أنزل الله –تعالى– فيه ،إلا باتباعهم دين محمد– صلى الله عليه وسلم –فإنما أمرهم الله –تعالى– بالحكم بما أنزل في الإنجيل الذي ينتمون إليه، فهم أهله، ولم يأمرهم قط –تعالى– بما يسمى إنجيلا وليس بإنجيل، ولا أنزله الله –تعالى– كما هو قط، والآية موافقة لقولنا، وليس فيها أن الإنجيل لم يبدل لا بنص ولا بدليل، إنما فيه إلزام النصارى الذين يتسمون بأهل الإنجيل، أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وهم على خلاف ذلك.

وأما قوله تعالى :﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُون﴾ [المائدة:٦٦] فحق، ولا سبيل لهم إلى إقامة التوراة والإنجيل المنزلين بعد تبديلهما، إلا بالإيمان بمحمد –صلى الله عليه وسلم– فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل حقا، لإيمانهم بالمنزل فيهما وجحدهم ما لم ينزل فيهما ،وهذه هي إقامتهما حقا) [٣].

---

(١) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٢١، مصدر سابق.

(٢) القس أغسطينوس حنا ، أدلة وحي الكتاب المقدس وسلامته من التحريف ، ص ٥٩، الناشر : كنيسة القديس ماريوحنا – كوفينا – كاليفورنيا ، ط٢ سنة ٢٠٠٦م.

(٣) الفصل ١/١٥٩، مصدر سابق.

وقال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): (وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ باتفاق المسلمين والنصارى، فكذلك أيضا ما ذكره من مدح المسيح والإنجيل ليس فيه مدح النصارى الذين كذبوا محمدا وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل واتبعوا المبدل المنسوخ، واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح للنصارى، والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح لليهود بعد النسخ والتبديل.

فعلم اتفاق أهل الملل كلها: المسلمون واليهود والنصارى ،على أنه ليس فيما ذكر في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل وموسى وعيسى مدح لأهل الكتاب الذين كذبوا محمدا – صلى الله عليه وسلم ، ولا مدح لدينهم المبدل قبل مبعثه ،فليس في ذلك مدح لمن تمسك بدين مبدل ولا بدين منسوخ، فكيف بمن تمسك بدين مبدل منسوخ ؟(١).

و هكذا يظهر مما سبق بيانه ، ضعف استدلال القمص على ما أراد أن يقرره، من سلامة التوراة والإنجيل الحاليْن من التحريف والتبديل، لأنه قد ذهب بعيدا في فهم معاني أدلته التي ساقها، فظهر قصور فهمه، وعدم وعيه التام بالسياق الوارد فيه كل دليل.

المطلب الثاني :

موقفه من الآيات القرآنية الدالة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل.

يرى القمص – من خلال منهج قلب الحقائق والفهم بالعكس–بأن هذه الآيات الدالة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل ، والتي تدل على تحريف التوراة والإنجيل أنها (صريحة الدلالة على صحتهما وعدم تحريفهما ووجودهما سليمين.

إن هذه الآيات دليل واضح وقوي على أن اليهود والنصارى، مع علمهم بأمر محمد في كتبهم وصفته ،لم يقدموا على انتزاع هذه الدلائل من كتبهم أو تحريفها، بل أبقوها كما هي، فقط اقتصروا على تشويش هذه الدلائل و تحريف كلام الله بالتأويل والإخفاء (٢).

وهذا الكلام من القمص شديد الغرابة ، وذلك بسبب أنه يدعي أن الآيات التي تتحدث عن تحريف التوراة والإنجيل ، هي نفسها تدل على عدم التحريف ، ولا ندري كيف يُفهم المعنى وضده من خلال آيات القرآن؟

كيف تتحدث الآية عن التحريف ، وفي الوقت ذاته لا تدل عليه؟

(١)الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ٢/ ٤٠٧ ، مصدر سابق.

(٢) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٣٣، مصدر سابق.

كذلك يقر القمص بوقوع جريمة كبرى منهم نحو كلمات الله المنزلة في التوراة والإنجيل ، وهي جريمة تحريف كلام الله بالتأويل والإخفاء، لما تضمنه من الحديث عن بشارات النبوة الخاصة بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم ، وكفى بها إثما مبينا.

وبعد إقراره بهذه الفعلة الشنيعة، والتي تدل على وقوع هذا الأمر على وجه التعمد ، وليس وقوعه لا إراديا ، أو خطئا ، أو نسيانا ، أو سهوا ، فهل هناك من يثق أن من قام بفعلها، لم يقم بأفعال أخرى أكبر شناعة، وأشد جرما ، تجاه النص المقدس، من حذف أو إضافة أوخلاف ذلك؟

ومعنى كلامك – أيها القمص– أنكم تقرون بوجود بشارات الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – في كتبكم ، فلماذا لم تؤمنوا به ، إذا ادعيتم أنكم تؤمنون بالتوراة والإنجيل ؟ ولماذا حرفتم بشارات أنبيائكم ، وأنتم تدعون إيمانكم بهم؟ ولماذا أنكرتَ تلك البشارات في قولك :(توراتنا وإنجيلنا لم يتنبأوا عن محمد)؟[1]!!

وعلى هذا النحو العجاب، كانت شبهات القمص في هذا المطلب،والتي نوردها مشفوعة بالرد عليها فيما يلي.

أولا :دعواه بأن القرآن الكريم وكتب التفسير ليس فيهما شئ عن التحريف.

إذا غاب العقل عن الإنسان نتيجة تملك شبهة ما أو شهوة ما ،فإنه لا يدري ماذا يقول ، وماذا يصنع ، ويضيع عنه التفكير السوي ، ويقول كلاما لا وزن له من جهة المنطق، وربما قام بفعل أمور تشينه، فهنا يعتقد القمص– على وجه يثير العجب والغرابة– أنه لا توجد آيات في القرآن الكريم تتحدث عن تبديل اليهود والنصارى لكتبهم ، وعلماء التفسير لم يشيروا في تفاسيرهم إلى شئ من ذلك ، وغاية الأمر في فكره بأن فئة من المسلمين هم الذين يعتقدون بوجود التحريف ، وتلك الفئة – بنظره – تتلمذت في عقائدها على موائد الإلحاد والكفرة.

يقول: (لا القرآن ولا مفسري القرآن، قالوا أن اليهود والنصارى حرفوا أو بدلوا أو غيّروا التوراة والإنجيل ،إنما البعض من المسلمين الذين يقولون إن التوراة والانجيل محرفان، وحدث فهيا تغيير وتبديل ،وفيهما التناقض والخطأ ،إنما هم متتلمذون للكفرة والملحدين، وعن سمومهم آخذون)[2].

---

(١) القمص سرجيوس ،هل تنبأت التوراة أو الإنجيل عن محمد ص١١١ ،إدارة مجلة المنارة المصرية – القاهرة ، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٢) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٣٨، مصدر سابق.

ويتغافل القمص متعمدا عن الآيات الواردة بشكل صريح في تحريف اليهود والنصارى لكتبهم ، فمما لا يريد أن يقر به أن كتابنا (القرآن الكريم) هو الذي أسس لنقد التوراة والإنجيل ،اللذيْن معهما ، لأن الله هو الذي دلنا على أن ثمة تحريفا وقع فيما أنزل ، وثمة تبديلا حصل في كلامه – عز وجل ، وأنهم كتبوا كلاما بأيديهم، ثم قالوا هذا من عند الله.

قال تعالى:﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]،وقال:﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ﴾ [المائدة: ١٣]،وقال:﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾[المائدة:٤١] وقال:﴿ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾ [البقرة:٧٥].

وإلى جانب التحريف ،فإن هناك وسائل أخرى ذكرها القرآن الكريم، لا تقل خطورة في تأثيرها عن التحريف والتبديل، ومن هذه الوسائل ما يلي:

١– الإخفاء: قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥].

٢– الكتمان: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٣– إلباس الحق بالباطل: قال تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقّ بِالْبَاطِلِ﴾ [آل عمران: ٧١].

٤– الكذب والتكذيب: قال تعالى:﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

٥– لوي الألسنة بالكتاب: قال تعالى: ﴿وَإِنّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

٦– التعطيل: المقصود به تعطيل أحكام التوراة والإنجيل وعدم إقامتها والعمل بها. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىَ شَيْءٍ حَتّىَ تُقِيمُواْ التّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مّن رّبّكُمْ} [المائدة: ٦٨].

٧– الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر: قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥].

٨– الإهمال: قال تعالى: ﴿وَلَما جَآءَهُمْ رَسُولٌ مّنْ عِندِ اللهِ مُصَدّقٌ لّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مّنَ الّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

٩- الظن: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمّيّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاّ أَمَانِيّ وَإِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنّونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

١٠- النسيان: قال تعالى: ﴿ وَنَسُواْ حَظّاً مّمّا ذُكِرُواْ بِهِ ﴾ [المائدة: ١٣].

١١- التزوير: قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ للذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لّهُمْ مّمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لّهُمْ مّمّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة: ٧٩].

وتوضح هذه الوسائل مجتمعة ، الطرق التي تحوّلت بها التوراة ، من نص إلهي، إلى نص إنساني ، خطه رجال الدين اليهودي بأيديهم(١).

ولإبطال قول القمص بأن كتب التفسير تخلو من ذكر لتحريف اليهود والنصارى لكتبهم ، ولبيان تهافته ، نذكر قولين فحسب للمفسرين في ذلك ، وفيهما الغنية عما عداهما ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

قال الإمام البيضاوي (ت ٦٨٥هـ): ﴿يُحَرّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ﴾[المائدة: ٤١] ، أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، إما لفظاً: بإهماله أو تغيير وضعه، وإما معنى: بحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده(٢).

وقال الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ) بكلام جلي ، موضحا أن التحريف وقع بالتأويلات الباطلة ، كما وقع بإخراج الألفاظ أيضا :(ذكر الله –تعالى –هاهنا: ﴿ يُحَرّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال : ﴿ يُحَرّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة: ٤١] والفرق أنا إذا فسرنا التحريف بالتأويلات الباطلة، فههنا قوله: ﴿ يُحَرّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ معناه: أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص، وليس فيه بيان أنهم يخرجون تلك اللفظة من الكتاب. وأما الآية المذكورة في سورة المائدة، فهي دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين، فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة، وكانوا يخرجون اللفظ أيضا من الكتاب، فقوله: ﴿ يُحَرّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ﴾ : إشارة إلى التأويل الباطل ، وقوله: ﴿ يُحَرّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ إشارة إلى إخراجه عن الكتاب(٣).

---

(١) د / محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام باليهودية ص ٤٣، ٤٥، مصدر سابق ، ويضيف الباحث إلى ما ذكره أستاذنا الدكتور/ محمد خليفة حسن ، التبديل ، وقد ذُكر مرتان في القرآن الكريم ، إحداهما في قوله تعالي:﴿ فَبَدَّلَ الّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾[البقرة: ٥٩]، والأخرى في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ الّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾[الأعراف: ١٦٢].

(٢) تفسير البيضاوي١٢٧/٢، مصدر سابق.

(٣) تفسير الرازي٩٣/١٠، مصدر سابق.

كذلك وضحت لنا السنة الصحيحة أن في اليهود قوما كانوا يكذبون في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –على توراتهم ، ويزيدون فيها ما ليس منها ، من كلام فقهائهم وأحبارهم ، فعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا[١] مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: «أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ» قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ[٢].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اليَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ» فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، قَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –فَرُجِمَا فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي عَلَى المَرْأَةِ، يَقِيهَا الحِجَارَةَ [٣].

وما ندري – أيها القمص –كيف يستحل مسلم إنكار تحريف التوراة والإنجيل ، وهو لا يجد في النسخة المتداولة، صفات الصحابة – رضى الله عنهم – التي وردت في قوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح:٢٩].

فأين هذه الأمثلة المضروبة عن الصحابة في التوراة والإنجيل الحالييْن ؟!

---

(١)التحميم : تسويد الوجه بالحمم. انظر: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، معالم السنن ٣/ ٣٢٧المطبعة العلمية – حلب – ط١ سنة ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م.

(٢) صحيح مسلم ، باب رجم اليهود أهل الذمة٣/١٣٢٧ ، رقم ١٧٠٠ ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب أحكام أهل الذمة ١٧٢/٨ برقم ٦٨٤١، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ط١ سنة ١٤٢٢هـ.

كذلك ليس فيها هذه الصفات الخاصة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – والواردة في صحيح البخاري ،فيما رواه – بسنده– عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا [(١)].

وليس فيها قول الحبر اليهودي الذي أتي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–

---

(١) صحيح البخاري، باب (كراهية السخب في الأسواق) ٣/ ٦٦ برقم ٢١٢٥، وقال ابن قيم الجوزية :(إن هذا الذي ذكره ليس في التوراة المعينة فقط، بل هو في كتاب إشعياء(: عَبْدِي وَخِيرَتِي وَرِضَى نَفْسِي، أُفِيضُ عَلَيْهِ رُوحِي، أَوْ قَالَ: أُنْزِلُ عَلَيْهِ رُوحِي، فَيَنْظُرَ فِي الْأُمَمِ عَدْلِي، وَيُوصِي الْأُمَمَ بِالْوَصَايَا، لَا يَضْحَكُ، وَلَا يُسْمَعُ صَوْتُهُ، يَفْتَحُ الْعُيُونَ الْعُمْيَ وَالْعُورَ، وَيُسْمِعُ الْآذَانَ الصُّمَّ، وَيُحْيِي الْقُلُوبَ، وَمَا أُعْطِيهِ لَا أَعْطِيهِ غَيْرَهُ، لَا يَضْعُفُ وَلَا يُغْلَبُ، وَلَا يَمِيلُ إِلَى اللَّهْوِ، وَلَا يُسْمَعُ فِي الْأَسْوَاقِ صَوْتُهُ، رُكْنٌ لِلْمُتَوَاضِعِينَ، وَهُوَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُطْفَأُ، وَلَا يُخْصَمُ، حَتَّى تَثْبُتَ فِي الْأَرْضِ حُجَّتِي، وَتَنْقَطِعَ بِهِ الْمَعْذِرَةُ). وقد ترجموه أيضا بترجمة أخرى فيها بعض الزيادة: (عَبْدِي وَرَسُولِي الَّذِي سَرَّتْ بِهِ نَفْسِي، أُنْزِلُ عَلَيْهِ وَحْيِي، فَيَظْهَرُ فِي الْأُمَمِ عَدْلِي، وَيُوصِيهِمْ بِالْوَصَايَا، لَا يَضْحَكُ، وَلَا يُسْمَعُ صَوْتُهُ فِي الْأَسْوَاقِ، يَفْتَحُ الْعُيُونَ الْعُورَ، وَالْآذَانَ الصُّمَّ، وَيُحْيِي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ، وَمَا أُعْطِيهِ لَا أُعْطِيهِ أَحَدًا،يَحْمَدُ اللَّهَ حَمْدًا جَدِيدًا يَأْتِي مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَتَفْرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَسُكَّانُهَا، يُهَلِّلُونَ بِاللَّهِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، وَيُكَبِّرُونَهُ عَلَى كُلِّ رَابِيَةٍ، لَا يَضْعُفُ، وَلَا يُغْلَبُ، وَلَا يَمِيلُ إِلَى الْهَوَى، مُشَفَّحٌ وَلَا يُذِلُّ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ هُمْ كَالْقَصَبَةِ الضَّعِيفَةِ، بَلْ يُقَوِّي الصِّدِّيقِينَ، وَهُوَ رُكْنُ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَهُوَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُطْفَأُ، أَثَرُ سُلْطَانِهِ عَلَى كَتِفَيْهِ). انظر : الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٢/ ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠، المحقق: محمد أحمد الحاج ، دار القلم– دار الشامية، جدة – السعودية ، ط١ سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، ولم يجد الباحث هذا النص بهذا اللفظ في النسخة المتداولة في أيامنا هذه، ولعل النسخة التي كانت في زمن ابن القيم كان فيها اختلاف عما هي عليها الآن ، فما وجده الباحث في سفر إشعياء قريبا من ذلك هو : (هُوَذَا عَبْدِي ٱلَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي ٱلَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ ٱلْحَقَّ لِلْأُمَمِ. لَا يَصِيحُ وَلَا يَرْفَعُ وَلَا يُسْمِعُ فِي ٱلشَّارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لَا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لَا يُطْفِئُ. إِلَى ٱلْأَمَانِ يُخْرِجُ ٱلْحَقَّ. لَا يَكِلُّ وَلَا يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ ٱلْحَقَّ فِي ٱلْأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ ٱلْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ،هَكَذَا يَقُولُ ٱللهُ ٱلرَّبُّ، خَالِقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا، بَاسِطُ ٱلْأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا، مُعْطِي ٱلشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً، وَٱلسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحًا،أَنَا ٱلرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلْأُمَمِ،لِتَفْتَحَ عُيُونَ ٱلْعُمْيِ، لِتُخْرِجَ مِنَ ٱلْحَبْسِ ٱلْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ ٱلسِّجْنِ ٱلْجَالِسِينَ فِي ٱلظُّلْمَةِ). إشعياء ٤٢: ١–٧.

حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر :٦٧] [١].

فلا يحل لمسلم إنكار تحريف التوراة والإنجيل ، وهو يقرأ تلك الآيات والأحاديث الثابتة ، ومن لم يقر بالتحريف بات منكرا لمعلوم من الدين بالضرورة ، ومن فعل ذلك كفر بالله ورسوله، بعد إقامة الحجة عليه.

ثانيا: دعواه بأن أئمة المسلمين يقولون بأن تحريف التوراة والإنجيل أمر ممتنع.

يصاب الإنسان بدوار في رأسه ، ورعشة في جسده ، حين يسمع أن عالما خالف دليلا شرعيا ، أو شذ عن رأي الجمهور في مسألة علمية ما، لكن الإصابة بالدوار والرعشة ربما كانا شيئا هينا ، إذا حصل للمرء شيء أكبر منهما ، وذلك بعد معرفته بأن القمص سرجيوس يقرر من خلال البحث العلمي، الذي يدّعي نزاهته، بأن أئمة المسلمين جميعا لا يعترفون بتحريف التوراة والإنجيل .

يقول : (إن أئمة المسلمين يقولون: إن تحريف التوراة والإنجيل أمر ممتنع لبلوغهما مبلغ الشهرة والتواتر ، بحيث يتعذر تحريفهما)[٢]، وفي موضع آخر يقول :(اعترف أئمة الاسلام واستبعدوا كل البعد تحريف الكتاب الذائع المتواتر)[٣].

ولا ندري أي علماء هم المقصودون؟ وأين هم ؟ وما كتبهم ؟ وكأنه لا يعلم شيئا عن الكتب التي تحدثت عن التحريف وأنواعه على مدار التاريخ، مثل كتاب تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ)، وكتاب الفصل لابن حزم(ت ٤٥٦هـ)، وكتاب شفاء الغليل في ما وقع في التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل للجويني (ت ٤٧٨هـ) ، وكتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للغزالي(ت ٥٠٥هـ)، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني (ت ٥٤٩هـ) ، وكتاب مقامع هامات الصلبان لأبي عبيدة الخزرجي (٥٨٢هـ) ، وكتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي (ت ٦٧١هـ)، وكتاب أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية للقرافي (ت ٦٨٤هـ)، وكتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل للإمام صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي(ت ٦٨٨هـ)، وكتاب الانتصار في الرد على شبه النصرانية للطوفي(ت٧١٦هـ)،وكتاب

---

(١) صحيح البخاري باب قوله (وما قدروا الله حق قدره) ١٢٦/٦، برقم ٤٨١١.

(٢) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٣٦، مصدر سابق ، ونفس الكلام يقوله القس : أغسطينوس حنا ،في كتابه أدلة وحي الكتاب المقدس ص ٦٠، مصدر سابق.

(٣) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٣٨ ، ٣٩، مصدر سابق.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، و كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، و كتب أحمد ديدات (ت ٢٠٠٥م)[١]،وكتاب إظهار الحق لرحمت الله الهندي(ت١٣٠٨هـ) ، الذي عقد بابًا خاصًا؛ لإثبات التحريف في كتب العهدين القديم والجديد،وأثبت أن بعض هذا التحريف كان عن عمد، وكان يأتي التحريف أحيانًا بالزيادة، وأحيانًا بالنقصان ،وأحيانًا بالتبديل اللفظي، وساق على التبديل اللفظي خمسة وثلاثين شاهدًا. كما ساق على التحريف بالزيادة خمسة وأربعين شاهدًا، أما التحريف: بالنقصان فقد ساق عليه عشرين شاهدًا[٢].

أمَّا العلامة / عبد الرحمن الباجه جي زاده (ت ١٩١١م)، فإنه– في كتابه الفارق بين المخلوق والخالق ، قام بتتبع الأناجيل الأربعة إصحاحا إصحاحا ، ليظهر دلائل التحريف والتناقضات والتكاذب الذي بين آياتها.

وذكر جومَّال سبعة عشر دليلا للإضافات والاستئصالات من آيات وأسفار الكتاب المقدس ، وأوضح أنه من الممكن أن تكون أكثر من هذا [٣] .

وتناول الدكتور الخولي مواضع التحريف في التوراة سفرا سفرا ، إصحاحا إصحاحا ، صفحة صفحة ، سطرا سطرا ، وجعل لكل ملاحظة عنوانا جانبيا ، ولكل سفر عنوانا وسطيا ، هو عنوان الفصل ، ويعترف بأنه لم يتناول كل مواقع التحريف ،لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات ، وإنما تناول أبرزها[٤].

وبعد أن أوردنا ذلك كله ، يكفي إيراد كلام اثنين فقط من علماء المسلمين في شأن وقوع التحريف في التوراة والإنجيل ، لنبرئ الساحة العلمية من هذا الزيف والسخف.

قال أبو البقاء الهاشمي (٦٦٨هـ) في الباب الرابع من كتابه (تخجيل من حرف التوراة والإنجيل) :(نبيّن – بعون الله – في هذا الباب من تناقض إنجيل النصارى وتعارضه وتكاذبه وتهافته ومصادمة بعضه بعضاً، ما يشهد معه من وقف عليه أنه ليس هو الإنجيل الحق المنَزَّل من عند الله، وأن أكثره

(١)وجعل أحمد ديدات الفصل الثالث من كتابه (هل الكتاب المقدس كلام الله؟) يحمل عنوان (نصوص الكتاب المقدس المختلفة) ، والفصل الرابع بعنوان (خمسون ألف خطأ). انظر : أحمد ديدات ،هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ ص ١٣، ٢٠، بدون بيانات ، و(خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس) ، هو عنوان أيضا ، لرسالة وضعها أحمد ديدات ، وهي من مطبوعات المختار الإسلامي ، وترجمة :رمضان الصفناوي.

(٢) انظر : إظهار الحق ٤٣١/٢ :٥٣٩.

(٣) علي سارفارار خان جومال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر ص ٣٤، نقله إلى العربية رمضان الصفناوي، مكتبة النافذة ، بدون بيانات أخرى.

(٤) انظر د/ محمد على الخولي ، التحريف في التوراة ص أ ، دار الفلاح – الأردن ، بدون رقم طبعة وتاريخ.

من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وأن نقلته أفسدوه ومزجوه بحكاياتهم، وألحقوا به أموراً غير مسموعة من المسيح ولا من أصحابه.

والإنجيل الحقّ إنما هو الذي نطق به المسيح، وإذا كان ذلك كذلك فقد انخرمت الثقة بهذا الإنجيل وعدمت الطمأنينة بنقلته)[(١)].

وقال نجم الدين الطوفي (ت ٧١٦هـ) : (واعلم أن هذه الكتب مما لا تقوم الحجة علينا بها. لأنها عندنا محرفة مبدلة،وأيضا كما أنهم لا يعدون كتابنا حجة عليهم، كذلك نحن لا نعد كتبهم حجة علينا (٢).

ثالثا :دعواه بدهشة الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ) إن قال أحد بتحريف التوراة والإنجيل.

يدعي القمص أن الإمام الرازي كان غير معترف بتحريف التوراة والإنجيل ، بدليل أنه كانت تحصل له دهشة عند سماعه لمن يقول بالتحريف من المسلمين ،يقول القمص سرجيوس:(أظهر الفخر الرازي دهشته عندما كان يسمع أن أحدا يقول بتحريف التوراة والإنجيل ، فقد قال في تفسير آية ٤٥ من سورة النساء[(٣)] :(كيف يمكن التحريف في الكتاب الذي بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور في الشرق والغرب؟)[(٤)] .

ويكفينا ردا على القمص بالوقوف على تدليسه في النقل ، وعدم الأمانة العلمية فيه ، حيث إن الكلام السابق ،ذكره الرازي مسبوقا بقوله : (فإن قيل)[(٥)] ، ثم ذكر السؤال الذي نقله القمص ، لكن ليس على وجه التقرير ، وإنما على سبيل الاستفهام ، بدليل أنه أجاب– رحمه الله– قائلا: (قلنا : لعله يقال: القوم كانوا قليلين، والعلماء بالكتاب كانوا في غاية القلة، فقدروا على هذا التحريف)[(٦)].

---

(١) صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي ، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢٨٣/١ باختصار ،المحقق: محمود عبد الرحمن قدح ، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢)الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية١/٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢ باختصار، مصدر سابق.

(٣) يقصد الآية ٤٦ وليس ٤٥ من سورة النساء وهي قوله تعالي :﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦].

(٤) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٣٨، مصدر سابق.

(٥) تفسير الرازي ٩٣/١٠، مصدر سابق.

(٦) المصدر السابق من نفس الموضع.

هذا هو النقل بتمامه ، كان عبارة عن سؤال طرحه الرازي كعادته في أسلوبه الماتع ، يفترض أسئلة عقلية تختلج في نفس المتلقي والقارئ والسامع ، فيطرح للأسئلة أجوبة ، إمعانا في الإقناع ، وزيادة في رسوخ الفهم، فلله دره!!!

ولكن القمص أتى بما يلام عليه،وبما لا يقع فيه من المفترض أمثاله، ممن وصلوا إلى مراتب عليا في التدرج الكهنوتي الكنسي ، لأن هذه الأفاعيل المشينة من شيم المستشرقين المتعصبين ، الذين يجتزؤون الأدلة ، ويبترون النصوص ، ويحرفونها، ليستدلوا بها على حقيقة ما في أذهانهم ،من باب: يعتقد ثم يستدل، لكن لا يُظن في رجال دين أن ينزلقوا إلى هذه المزالق الهاوية، التي تضيع سمعة ماضيهم ، وتلوث شرف مستقبلهم.

رابعا : دعواه بأن القائلين بالتحريف يُعرّضون قرآنهم للتناقض.

يدّعي القمص بأنه لو وُجد من المسلمين من يعتقدون بتحريف التوراة والإنجيل ، فإن لهذا الأمر مآلا خطيرا ، ولوازم قاسية، هي أنهم بذلك يعرضون القرآن للتناقض .

يقول : (إن قليلا من الموازنة بين القائلين بتحريف التوراة والإنجيل أن الربح الذي يعود عليهم من وراء مهاجمة التوراة والإنجيل ،لا يذكر إلى جانب الخسارة التي تلحقهم من وراء هذه، مهاجمتهما ورميهما بالتحريف والتبديل، وهي خسارة لا تعوضها شهوة التعريض بالتوراة والإنجيل ،لأنهم في ما يرمون به التوراة والإنجيل يعرضون القرآن للتناقض !

وكيف لا، وهم الذين يعلمون ما ورد في القرآن من الشهادات العظيمة، الدالة على أن التوراة والإنجيل لم يتحرفا ،وأنهما ضياء وذكرى ، وفيهما حكم الله، وأنهما كلام الله، وموضع الثقة واليقين، وفيهما وفي سؤال أصحابهما ما يزيل الشك من قلب محمد ، وفيهما تعليم لما لا يعلمه المسلمون على النحو الذي أوردناه آنفا.

تراهم بعد أن وقفوا على هذه الشهادات القرآنية الكثيرة والعظيمة ،يحاولون أن يأتوا بآيات من نفس القرآن ،ليستدلوا بها على أن التوراة والإنجيل ، وليسا(١) بالضياء، ولا بالذكر، ولا يستحقان من الله أن يحفظهما، وأنهما قد تحرفا وتبدلا، بدون مبالاة بما يقوم على القرآن من الاعتراضات، إذا ثبت ما أراد هؤلاء الطائشون أن يثبتوه، إذ يريدون أن يثبتوا من القرآن الشئ وضده(٢).

(١) كذا في الأصل ، والصحيح ليسا.

(٢) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٣٢، مصدر سابق.

ونوضح للقمص هنا أنه ليس هناك شيء عند المسلمين ما يسمى في النفس ، أنهم إن شهدوا بتحريف التوراة والإنجيل ، فإنهم يتناقضون في إيمانهم ، وينسبون القرآن إلى التناقض ، لأنه في ذات الوقت أثنى على التوراة والإنجيل ، وجعلهما هدى للناس ونورا ، والعلة أن من آمن بأن القرآن أثنى على التوراة والإنجيل وأن فيهما هدى ونور ، فإنه يؤمن كذلك بوقوع التحريف والتبديل فيهما ، لأن القرآن ذكر ذلك أيضا، فهذا مما يجب الإيمان به ، وذلك مما يجب الإيمان به ، هذا مما يجب اعتقاده ، وذلك أيضا ، وإلا صار المسلمون ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه.

المبحث الثاني:

أدلة القمص سرجيوس على أن الكتب المقدسة التي بين أيديهم موحى بها وعلى عدم إمكان وقوع التحريف فيها.

المطلب الأول: أدلته على أن الكتب المقدسة التي بين أيديهم موحى بها.

أولا: نزولها على أنبياء ورسل بررة صالحين، أطاعهم الناس وصدقوهم .

يري القمص بأن التوراة والإنجيل قد كتبا بإلهام إلهي ووحي من الله كما يقول بولس : (كُلُّ ٱلْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ ٱللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَٱلتَّأْدِيبِ ٱلَّذِي فِي ٱلْبِرِّ) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ٣: ١٦ ، وقول بطرس:(لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ ٱللهِ ٱلْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ) رسالة بطرس الثانية ١:٢١، ويدلل القمص على أن التوراة والإنجيل، موحى بهما ، بأن تلك الكتب نزلت على أنبياء ورسل بررة صالحين، أطاعهم الناس وصدقوهم ، لما تبين من حكمتهم وتقواهم ، فضلا عما صنعوه من العجائب والمعجزات لأتباع رسالتهم(١).

وواضح من كلام القمص اعتقاده أن كل الكتاب هو موحى به ، واعترافه بأن عيسى – عليه السلام ، لم يكتب الأناجيل بنفسه ،لأنه ذكر نزولها على أنبياء ورسل ، دون أن يصرح باسم عيسى – عليه السلام ، ومن الردود العقلية المقنعة على هذه الشبهة ما يأتي.

أ–ما هي الأدلة على أن كتبة الأناجيل رسل من الله معصومون ؟

النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله، مثل عيسى ابن مريم، وموسى – عليهما السلام – وأنهم معصومون، وأنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل، وأن لهم معجزات ،وقالوا لهم هذه التوراة ، وهذا

(١)انظر : رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ١٠ ، ١١، مصدر سابق.

الإنجيل، ويقرون مع هذا بأنهم ليسوا بأنبياء ، فإذا لم يكونوا أنبياء، فمن ليس بنبي، ليس بمعصوم من الخطأ، ولو كان من أعظم أولياء الله.

ودعوى أنهم رسل الله مع كونهم ليسوا بأنبياء تناقض، وكونهم رسل الله هو مبني على كون المسيح هو الله، فإنهم رسل المسيح وهذا الأصل باطل، ولكن في طريق المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن ، نطالبهم بالدليل على أنهم رسل الله، وليس لهم على ذلك دليل، فإنه لا يثبت أنهم رسل الله، إن لم يثبت أن المسيح هو الله .

ويقال لهم في هذا المقام: أنتم لا يمكنكم إثبات كون المسيح هو الله إلا بهذه الكتب، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب، إلا بإثبات أن الحواريين رسل الله معصومون، ولا يمكنكم إثبات أنهم رسل الله إلا بإثبات أن المسيح هو الله، فصار ذلك دورا ممتنعا(١).

إننا نبحث في مراجعهم فلا نجد مرجعاً صحيحاً قرر أن هؤلاء ادعوا مثل هذه الرسالة، ودعوا الناس إلى الإيمان بها، ومعهم البرهان عليها ، نعم قد نجد في رسالة أعمال الرسل (تنسب للوقا) ذكراً لأخبار تلاميذ المسيح، وأن روح القدس تجلى عليهم، وأنهم كانوا يأتون بأمور خارقة للعادة، وسماهم كاتب تلك الرسالة رسلاً.

ولسنا في ذلك إلا مطالبين بأن يثبتوا إلهام لوقا، لنصدق بأخباره عن الرسل وأعمالهم وعن إلهامهم، وامتلائهم بالروح القدس، وإعجازهم. لا يوجد أمامنا أي دليل يثبتون به إلهام لوقا فيما كتب، حتى كنا نصدقه في كلامه عن الرسل الذين تجلى عليهم الروح القدس.

بل لقد وجدنا من كتاب القوم الباحثين من يصرح بأن لوقا لم يكن من الملهمين، وأن إنجيله لم يكن إلهامياً، وبالأولى رسالته لم تكن بإلهام، فقد قال من المحدثين واطسن، في المجلد الرابع من كتابه الإلهام ما ترجمته: أن عدم كون تحرير لوقا إلهامياً يظهر مما كتب في ديباجة إنجيله ونصها:(إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي ٱلْأُمُورِ ٱلْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا ٱلَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ ٱلْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى ٱلتَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ) لوقا ١ : ١-٤ [٢].

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ٢/ ٣٩٥ ، مصدر سابق.

(٢) انظر : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، محاضرات في النصرانية ص ٧٨-٨١ باختصار ، دار الفكر العربي، ط٣ سنة١٣٨١ هـ - ١٩٦٦م.

وإذا كانت رسالة الأعمال هي المصدر المثبت لإلهام الرسل وامتلائهم بالروح القدس، فيكون ذلك المصدر قد فقد صلاحيته للاعتماد عليه، لأنه لم يكن متصل السند بين لوقا والتلاميذ والمسيح، ولأن لوقا لم يكن ملهماً. وهذا كله على فرض صحة نسبة ما أسند إلى لوقا.

وفي الحق أن دعوى إلهام الرسل في كل ما كتبوا لم تكن محل إجماع من كتاب المسيحيين في القديم والحديث، فطائفة من علماء انجلترا قالوا: إن الذين قالوا أن كل قول مندرج في الكتب المقدسة إلهامي لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة [١].

وهذا عالم مسيحي يقال له ريس يقول حاكياً بعض أقوال المتقدمين: أن الناس قد تكلموا في كون الكتب المقدسة إلهامية، وقالوا إنه يوجد في أفعال مؤلفي هذه الكتب وأقوالهم أغلاط، واختلافات،وإنجيل متى على قول القدماء من المسيحيين، وقول جمهور المتأخرين الذين قالوا إنه كتب باللسان العبراني، قد قالوا إن أصله فقد، وترجمته ليست بالإلهام.

ويقول استادلن وغيره: أن إنجيل يوحنا ليس بإلهام[٢]، وجميع رسائل يوحنا ليست بإلهام على رأي فرقة لوجين، وكذلك الرسالة الثانية لبطرس، ورسالة يهوذا، ورسالة يعقوب، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورؤياه، كل ذلك عند الأكثرين ليس بإلهام [٣].

ويقول فرانس باتون ، وهو من بين المسيحيين الذين يسلمون بالعقيدة الصحيحة: (إن المرء لا يستطيع في قبول الوحي الآن التمسك بفكرة أنه معصوم)[٤]، وورد في تصريح أوبرن الذي صدر عن جماعة في مدينة أمريكية اسمها أوبرن:(ليس هناك تأكيد في الكتب المقدسة أن كتّابها قد حفظوا من الخطأ)[٥].

ب-جهالة أسماء بعض كتبة الأسفار في العهد القديم والجديد.

---

(١) المصدر السابق من نفس الموضع.

(٢) يقول العلامة/عبد الرحمن الباجه جي زاده في كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ص٣٤٢ باختصار، تصحيح ومراجعة عبد المنعم فرج درويش سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، بدون رقم طبعة ودار نشر:(وحيث إن إنجيل يوحنا كتب بالالتماس، فلا يصح أن يقال إنه من الإلهام ، وعار على المسيحي أن يدعي إلهامية كتاب صنف بالالتماس).

(٣)محاضرات في النصرانية ص ٨١:٨٣ باختصار.

(٤)د/رادوار ج . يونج ، الكتاب المقدس في الميزان ص ٦٥ ، نقله إلى العربية : القس إلياس مقار ، دار الثقافة المسيحية – القاهرة ط٢ سنة ١٩٧٧م.

(٥) د/ رادوار ج . يونج ،الكتاب المقدس في الميزان ص٦٢، مصدر سابق.

ليذكر لنا القمص كيف يحكم عاقل بإلهام كتب اختُلف في أسماء كاتبيها[١]، وفي السنة التي كتبت فيها ، وفي اللغة التي دونت بها ، وفي المكان الذي دونت فيه ؟ فمن العسير إن لم يكن من المستحيل تحديد سنة كتابة كل إنجيل على وجه التحديد[٢] ،وهذه الأسماء التي على البشائر الأربعة قد أضيفت في مرحلة مبكرة من تاريخ الكنيسة، وليس على ادعاء شخصي من الكاتب نفسه[٣]،وكان هذا التاريخ في نهاية القرن الثاني الميلادي (٤).

---

(١) في دائرة المعارف الكتابية، مجلس التحرير د. القس صموئيل حبيب وآخرون ،ط دار الثقافة،بدون رقم طبعة وتاريخ. ورد في مادة سفر أستير، سؤال عن اسم كاتب هذا السفر ، وفي الجواب (في الحقيقة نحن لا نجد إجابة قاطعة على هذا السؤال، لا من محتويات السفر، ولا من أي تقليد موثوق به) انظر دائرة المعارف الكتابية – مادة أستير ٢١١/١ ، وفي مادة إنجيل يوحنا (توجد كتب ترفض نسبة الإنجيل ليوحنا) انظر ٤٧١/١ ، وعن سفر الجامعة (يرى كثيرون من العلماء أن سليمان لم يكتب هذا السفر ، بل كتبه كاتب في عصر لاحق) دائرة المعارف الكتابية مادة الجامعة ٢/ ٤٦٨، وعن سفر القضاة (لا يُعلم على وجه التحديد كاتب هذا السفر) دائرة المعارف الكتابية – مادة سفر القضاة ٦/ ٢٢٥، ، وعن سفر زكريا (المشكلة تدور حول الإصحاحات الستة الأخيرة ، فيرى كثيرون أن هذه الإصحاحات ليست من كتابة زكريا ، ولا تشكل وحدة فيما بينها) . دائرة المعارف الكتابية مادة زكريا ٤/ ٢٢٩. كما أنه(يوجد مزمورات كثيرة لم يتفق علماء المفسرين على كاتبيها ولا على تاريخ كتابتها) انظر: نخبة من اللاهوتيين، مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ص ١٢٦، بيروت سنة ١٨٦٩م. وعن سفر الأمثال يقول القس منيس عبد النور : لا يقول سفر الأمثال إن سليمان كتب السفر كله،ولكن الواضح أن أغلبية السفر من كتابته ، فعزى السفر إليه من باب التغليب) انظر القمص منيس عبد النور، شبهات وهمية حول الكتاب المقدس ص٢٠٢، كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية – مصر –ط١ سنة ١٩٨٢م وعن سفر أيوب يقول مؤلفو كتاب المرشد إلى الكتاب المقدس ، نخبة من اللاهوتيين ، نشره باللغة العربية :دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ،ومجلس كنائس الشرق الأوسط ، ط٢ سنة ٢٠٠٠م ، ص ٣١٩ :(ولا نعرف من كتبه أو متى كتب على وجه التحديد) ، وفي الكتاب المقدس– النسخة اليسوعية ص ٣٥ ، طبعة دار المشرق – بيروت – لبنان ط٣ سنة ١٩٨٨م، ورد عن إنجيل متى : (لانعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة) ، وعن الاختلاف في اسم كاتب الرسائل العامة– الرسالة إلى العبرانيين ، ورسالة يعقوب ،ورسالة بطرس الأولى . ينظر :القس فهيم عزيز ، المدخل إلى العهد الجديد ص ٦٨٣، ٧١١،٧٢٧، دار الثقافة – القاهرة سنة ١٩٨٠م ، وقال حبيب سعيد عن الرسالة إلى العبرانيين : (ليس في الرسالة ما نستدل منه على اسم كاتبها) انظر كتابه: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٣٤٢ ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٢) نيافة الأنبا يؤانس ، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص ٣٦٥ ، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) العباسية – القاهرة ، ط٣ سنة ١٩٨٧م ، وانظر مثلا الانقسام الشديد في تاريخ كتابة إنجيل مرقس في دائرة المعارف الكتابية مادة إنجيل مرقس ٤٦٦/١ ، مصدر سابق.

(٣) جون درين ، مدخل العهد الجديد ص ٨٨، ترجمة د/ إيهاب جوزيف – د/ فنيس نقولا ، دار الثقافة – مصر سنة ٢٠١٥م.

(٤)دائرة المعارف الكتابية ، مادة إنجيل ٤٤٢/١.

بل شهد حبيب سعيد قائلا: (يجب أن لا يُظن أن أحدا من كتَّاب العهد الجديد فكر واعيا وهو يكتب أنه يكتب أسفارا مقدسة ، سيجمعها المسيحيون في السنوات المقبلة، ويضعونها في مستوى أسفار العهد القديم،إن مثل هذه الفكرة لم تخطر لأحد منهم على بال ، وما كانوا يرضونها لو خطرت)[١].

ج- أخلاق هؤلاء الرسل تقدح في كونهم رسل الله.

يضاف إلى ما سلف، الأخلاق التي ذكرتها الأناجيل والرسائل عن هؤلاء الرسل ، حيث يصعب علينا أن نقول إن أولئك الرسل كانوا من طراز الذين يُختارون ليبدلوا أقوال العالم.

فالأناجيل تظهر ما بين أخلاقهم من اختلاف واقعي، وتكشف عن عيوبهم كشفاً صريحاً، فهم لا يخفون مطامعهم، ولما أراد عيسى أن يهدئ من هذه المطامع، وعدهم بأنهم سيجلسون في يوم الحساب، على اثني عشر كرسياً ،يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر [٢].

وكم سجلت الأناجيل توبيخات السيد المسيح لهم ، لثقل فهمهم الجسدي ، وحاجتهم إلى الإيمان ، جبنهم وانفضاضهم من حوله في ساعة التجربة والشدة ، يأسهم بعد الصلب ، إنكار بطرس وخيانة يهوذا[٣] ، كذلك وصفهم بولس : بصفات مشينة ، مثل : الإخوة الكذبة[٤] والمرائين[٥]، وذلك في رسالته إلى أهل غلاطية ، وقال بولس -عن نفسه- لمن هداهم :(لَيْتَكُمْ تَحْتَمِلُونَ غَبَاوَتِي قَلِيلًا!) ، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١١: ١.

(١) حبيب سعيد ، المدخل إلى الكتاب المقدس ص٢٣١، ٢٣٢ مصدر سابق.

(٢) قصة الحضارة ١١/ ٢٢٢، مصدر سابق ، ويقصد ول ديورانت ما ورد في إنجيل متى ١٩: ٢٧- ٢٨ (فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي ٱلتَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى ٱثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ ٱلِٱثْنَيْ عَشَرَ).

(٣) نيافة الأنبا يؤانس ، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص ٣٦٦ مصدر سابق، و يسوق الباحث أدلة على ذلك مما ورد في إنجيل متى ١٦: ٨ -٩ -٢٣ ، قول المسيح لهم : (لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ يا قَلِيلِي ٱلْإِيمَانِ أَنَّكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا خُبْزًا؟ أَحَتَّى ٱلْآنَ لَا تَفْهَمُونَ) ، وقوله لبطرس : (ٱذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ) ، وفي إنجيل مرقس ١٦ : ١٤(أَخِيرًا ظَهَرَ لِلْأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا ٱلَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ).

(٤)يقول بولس في رسالته : (وَلَكِنْ بِسَبَبِ ٱلْإِخْوَةِ ٱلْكَذَبَةِ ٱلْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، ٱلَّذِينَ دَخَلُوا ٱخْتِلَاسًا لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا ٱلَّتِي لَنَا فِي ٱلْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا، ٱلَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِٱلْخُضُوعِ وَلَا سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ ٱلْإِنْجِيلِ) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢:٤-٨

(٥) يقول بولس عن بطرس:(وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي ٱلْيَهُودِ أَيْضًا، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضًا ٱنْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ! » رسالة بولس إلى أهل غلاطية٢ :١٣-١٤.

وجميع ذلك يسلب الإلهام عن كتبة الأناجيل والرسائل ، لأن الرسل مبرؤون من العيوب والنقائص والأخلاق السيئة، ويكفي ما في كتبهم من أغلاط وتناقضات وتكاذب،تلك الأمور التي تؤكد على أن من كتبها بشر، غير مسوقين من الروح القدس ، وإلا لانتفى عنها ذلك.

ثانيا : تحقق نبوءاتها.

من الأدلة التي اتكأ القمص علي أساسها في سبيل التأكيد على وحي الكتب المقدسة ، أن في تلك الكتب نبوءات قد تحققت على أرض الواقع ، وغيبيات تحدث عنها الأنبياء وقد شاهدها الناس بعد موتهم، مما يدل على أنها ليست من عند البشر.

يقول القمص بصدد ذكر أدلته على صحة كتبهم:(لأن التوراة والإنجيل اشتملت على نبوءات إلهية قد تم أغلبها فعلا، وشهادات المؤرخين المنزهين عن الأغراض سواء كانوا من الوثنيين أو غيرهم دلت على أن أغلبها تم حقيقة)[١].

و الحديث عن نبوءات العهد القديم والجديد وتحققها ،واتخاذه كدليل على صحة ما بين أيديهم من كتب ، لا يصمد أمام التحقيق العلمي ، فهو ادعاء لا وجود للكثير منه على أرض الواقع ، ولنضرب على ذلك عدة أمثلة ، من واقع كتبهم ، لئلا يكون الكلام مجرد دعوى.

أ- الآيات التي ذكرها المسيح أنها تصحب الذين يؤمنون به.

ففي إنجيل مرقس أن المسيح قال لتلاميذه:(ٱذْهَبُوا إِلَى ٱلْعَالَمِ أَجْمَعَ وَٱكْرِزُوا بِٱلْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَٱعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ. وَهَذِهِ ٱلْآيَاتُ تَتْبَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ ٱلشَّيَاطِينَ بِٱسْمِي، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لَا يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى ٱلْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ). مرقس ١٦ : ١٥ -١٨.

قال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) :(وهذا وعد ظاهر الكذب جهارا ، ما منهم أحد يتكلم بلغة لم يعلمها ، ولا منهم أحد ينفي جنيا، ولا منهم أحد يضع يده على مريض فيبرأ ،ولا منهم أحد يقلع ثعبانا، ولا منهم أحد يسقي السم فلا يؤذيه، وهم معترفون بأن يوحنا صاحب الإنجيل قتل بالسم ، وحاشا لله أن يأتي نبي بمواعيد خاسئة كاذبة، فكيف بإله)[٢].

ب-التنبؤ بأن نهاية العالم تحدث في القرن الأول الميلادي.

---

(١) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ١٠، مصدر سابق.

(٢) الفصل ٤٨/٢ ، مصدر سابق.

في إنجيل متى أن السيد المسيح (دَعَا تَلاَمِيذَهُ ٱلِٱثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ، وأوصاهم قائلًا: وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ ٱلْمَدِينَةِ فَٱهْرُبُوا إِلَى ٱلْأُخْرَى. فَإِنِّي ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ) متى ١٠: ١- ٢٣.

أي أن عودة المسيح ثانية إلى الأرض تحدث قبل أن يكمل تلاميذه التبشير في مدن إسرائيل ، وهي كذلك تحدث قبل أن يكون معاصري المسيح الذين عاشوا في النصف الأول من القرن الأول الميلادي قد ماتوا:(فَإِنَّ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ.اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ ٱلْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ ٱلْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ) متى ١٦: ٢٧-٢٨.

وبصورة أخرى تؤكد ما سبق فإن نهاية العالم وعودة المسيح ثانية إلى الأرض، لا بد أن تحدث قبل أن يفنى ذلك الجيل الذي عاش في القرن الأول من الميلاد:(بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ تُظْلِمُ ٱلشَّمْسُ، وَٱلْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَٱلنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ ٱلسَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ٱبْنِ ٱلْإِنْسَانِ فِي ٱلسَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ ٱلْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ ٱلسَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ .فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ ٱلصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ ٱلْأَرْبَعِ ٱلرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ ٱلسَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا. فَمِنْ شَجَرَةِ ٱلتِّينِ تَعَلَّمُوا ٱلْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ ٱلصَّيْفَ قَرِيبٌ.هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ فَٱعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى ٱلْأَبْوَابِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمْضِي هَذَا ٱلْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ). (متى ٢٤: ٢٩- ٣٤) ، ويتفق كل من إنجيلي (مرقس ١٣: ٢٤- ٣٠) و (لوقا ٢١: ٢٥-٣٤) مع ذلك التقرير الخطير الذي قرره متى.

هذا ومن الواضح أن شيئا من هذا لم يحدث كما توقعه متى, وعلى ذلك تكون التنبؤات التي نسبتها الأناجيل للمسيح عن حدوث نهاية العالم في القرن الأول الميلادي استحال تحقيقها ولا يمكن لأحد الدفاع عنها[١].

ج- هل تحققت نبوءة أن المسيح سوف يظل ثلاثة أيام في قبره؟

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٥٩، ٦٠ ، مثل الجانب الإسلامي في المناظرة ، كل من الدكتور/ محمد جميل غازي ،والأستاذ /إبراهيم خليل أحمد، واللواء المهندس /أحمد عبد الوهاب ، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض – المملكة العربية السعودية ط٢ ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، وانظر اللواء مهندس أحمد عبد الوهاب ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٣، مكتبة وهبة– مصر، بدون رقم طبعة وتاريخ.

مما ورد في إنجيل متى أنه قال للمسيح قوم من الكتبة والفريسيين: (يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً. فَأَجابَ وَقَالَ لَهُمْ: جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةَ يُونَانَ ٱلنَّبِيِّ. لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ ٱلْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ ٱلْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ) متى ١٢: ٣٨-٤٠.

ويعلق ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) قائلا:(حكايتهم عن المسيح أنه قال عن نفسه : كما بقي يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها ،كذلك يبقى هو في جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها ،وهذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها ،لأنهم مجمعون وفي جميع أناجيلهم أنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت ،وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد [١].

إضافة إلى ما سبق، فإن هناك ملاحظ أخرى على الاستدلال بالنبوءات، ومن أهمها ما يلي.

- **نبوءات كثيرة تدول حول الإهلاك والدمار والخراب.**

ينتقد بعض المؤرخين النبوءات الواردة في العهد القديم ،كالنبوءات الواردة بشأن صور والسامرة وأدوم ومصر ونينوى وبابل وغيرها ،وذلك بسبب أن كلها إعلان للخراب والدمار والهلاك ، فيعلق ول ديورانت(ت ١٩٨١م) على بعض النبوءات الواردة في هذا الشأن في سفر إشعياء فيقول: (وهذا الدعاء بالخراب، وهذه اللعنات المتكررة تفسد ما في سفر إشعياء من جمال، كما تفسد كل ما في التوراة من نبوءات)[٢].

- **بعض النبوءات كتبت بعد حدوث ما أنبأت به .**

لاحظ الباحثون بأن بعض النبوءات كُتبت بعد حدوث ما أنبأت به[٣]،ومن أمثلة ما يدل على ذلك ، ما ذكره القمص بنفسه من نبوءة النبي حزقيال ٣٤: ٢٣ ، عن مجيء الراعي الإلهي في قوله :(وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رَاعِيًا وَاحِدًا فَيَرْعَاهَا عَبْدِي دَاوُدُ، هُوَ يَرْعَاهَا وَهُوَ يَكُونُ لَهَا رَاعِيًا). فيقول القمص : (مع أن النبي حزقيال تنبأ هذه النبوءة بعد موت داوود بأجيال)[٤].

- **التوسع في النبوءات.**

---

(١) الفصل ٢٨/٢، ٢٩ ،مصدر سابق.

(٢)قصة الحضارة ٣٥٢/٢ ، مصدر سابق.

(٣) جوش ماكدويل ، كتاب وقرار – بحث منطقي في صحة الكتاب المقدس ص ١١٨، ترجمة د. القس منيس عبد النور ، الناشر: هيئة الخدمة الروحية بالإسكندرية ،بدون بيانات أخرى.

(٤)انظر كتابه : هل تنبأت التوراة عن المسيح؟ ص ٣٠، مصدر سابق.

من النقد الذي يوجه أيضا أثناء الاستناد إلى النبوءات، توسعهم في النبوءات حتى انتهوا في توسعهم إلى الرموز ، فاعتبروا بعض آيات ، بل العديد جدا من آيات العهد القديم ، رمزا إلى ما وقع أو كان في العهد الجديد ، حتى أن الآيات من العهد القديم ، التي يستخلصون منها رموزا إلى العهد الجديد ، أصبحت أضعاف تلك التي يستخلصون منها نبوءات عن العهد الجديد ، بل إنه قد أصبح من طرق دراسة الكتاب المقدس عند المسيحيين طريقة تسمى ، دراسة الكتاب المقدس عن طريق الرموز [١].

وذلك يتضح جليا في تكلفهم ، بشأن النبوءات المتعلقة ببعثة المسيح -عليه السلام- في التوراة ، فهناك ليٌّ واضح لأعناق النصوص التوراتية ، ووعود أنبيائها بإرسال النبي – محمد- صلى الله عليه وسلم ، وتحريف تلك الوعود لتكون دالة على السيد المسيح – عليه السلام ، وتهافت كتاب الأناجيل – كما ذكر الدكتور محمد مرجان – على استدعاء آيات العهد القديم، واستنطاق أنبيائه قسرا، وتحوير الكلمات والروايات التي تحدثت ليكون المقصود بها عيسى[٢]،وقد فعل القس شنودة ذلك في كتابه المسيح في نبوءات العهد القديم[٣]، والقمص منيس عبد النور في كتابه شبهات وهمية حول الكتاب المقدس[٤]، والقمص سرجيوس نفسه في كتابه هل تنبأت التوراة عن المسيح؟[٥]، وهم بلا شك يسيرون في ذلك على نهج آباء الكنيسة ، فالقديس أثناسيوس الرسولي في رسائله ، التي تحدث فيها على أن الروح القدس ليس مخلوقا، قد أفاض في ذكر علامات مجيء المسيح في سفر إشعياء ودانيال والمزامير وغيرهم[٦].

- **الكذب في نقل النبوءات من العهد القديم.**

---

(١) القاضي منصور حسين عبد العزيز ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ص ٤٥، بدون بيانات أخرى.

(٢)انظر: د. محمد مجدي مرجان ، المسيح إنسان أم إله ص ٢٤ ، مكتبة النافذة – فيصل- مصر ط٢ سنة ٢٠٠٤م.

(٣) القس شنودة ماهر إسحاق ، المسيح في نبوءات العهد القديم ، سلسلة دراسات في الكتاب المقدس (٢) ، القاهرة ط٣ سنة ٢٠٠٢ والكتاب بدون دار نشر.

(٤) انظر : القمص منيس عبد النور ، شبهات وهمية حول الكتاب المقدس ص٣٧، ٣٨مصدر سابق .

(٥)حيث يرى القمص أن التوراة والزبور وكتب الأنبياء يوجد في كل جزء منها ، صورة تمثل حياة السيد المسيح ، وظروفه وأحواله وصفاته وأعماله.انظر : القمص سرجيوس ، هل تنبأت التوراة عن المسيح؟ ص ٦ ، مصدر سابق.

(٦) انظر: القديس أثناسيوس الرسولي، الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون ص٩٧،١٠٠، ١١٩،١٤٣ ، ترجمها عن اليونانية د/ موريس تاوضروس ، د/ نصحي عبد الشهيد ، الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيةط٢ ٢٠٠٥م.

لكي يوهموا العالم بأن المسيح من قرية الناصرة في منطقة بحر الجليل، وهو بحر طبرية كتبوا: وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِٱلْأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا» (متى ٢: ٢٣). وليس في التوراة نبوءة بهذا المعنى[١]، وتحقيق هذا الأمر: إما أن النبوءة كانت في التوراة، وبعدما اقتبسها كتاب الأناجيل حذفها علماء اليهود من التوراة ليظهروا النصارى كاذبين. وإما أن متي كاذب، وإما أن معدلى الأناجيل على حسب المبادئ الجديدة حشروا هذه العبارة حشرا [٢].

وهناك من علماء المسلمين- كالشيخ أبي البقاء الهاشمي (٦٦٨هـ) ،والإمام القرافي(ت ٦٨٤هـ) ، والشيخ أبي الفضل السعودي المالكي (كان حيا سنة ٩٤٢هـ) ، وغيرهم ، ممن تولوا أمر تفنيد هذه النبوءات التي وردت في المزامير وفي سفر دانيال وإشعياء وغيرهم[٣].

---

(١)يقول وليم باركلي :(هذه النبوءة تواجه المفسرين بصعوبة كبيرة ، لأنه لا توجد آية في العهد القديم بذلك المعنى ، وحتى مدينة الناصرة غير مذكورة على الإطلاق في العهد القديم ، ولم يوجد حل كاف لهذه المشكلة) انظر : وليم باركلي ، تفسير العهد الجديد ١ / ٣٧ ، دار الثقافة – مصر ط١ سنة ١٩٩٣م ،و لهذا ورد في التعليق على ذلك من الآباء اليسوعيين :(يصعب علينا أن نعرف بدقة ما هو النص الذي يستند إليه متى) انظر الكتاب المقدس – النسخة اليسوعية ص ٤٠ ، مصدر سابق.

(٢) انظر: إمام الحرمين الإمام عبد الملك بن عبد الله الجويني ، شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، ص ٢٠: ٢٣ باختصار وتصرف يسير، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا ، المكتبة الأزهرية للتراث ، بدون رقم طبعة وتاريخ، وانظر: د/ أحمد حجازي السقا ، اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة – بيان ونقد ص ٤٨، مكتبة الإيمان – المنصورة ، ط١ سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، وغير مقبول علميا ما ورد في كتاب قصة الكتاب المقدس ،من دفاع عن ذلك ،بذكر أن هؤلاء النقلة يجب أن لا يفهم منهم أنهم لم يؤمنوا بالوحي الحرفي للكلمات ، ولكن اهتمامهم لم يكن بالكلمات في حد ذاتها ، وإنما معناها ومدلولها، وقد بينت دراسة حديثة أن هذه الاقتباسات تفسيرية وتوضيحية. انظر : ف.ف .بروس – ج. أ.بايكر – فيليب كومفرت –كارل ف.هـ.هنري ، قصة الكتاب المقدس ص ٣٤ ، ترجمة ندى بريدي، دار الثقافة ، ط١ سنة ٢٠١٢م. بل إن عدم إيمانهم بحرفية الوحي هو الأحرى بالقبول ، بدليل الأخطاء في النقل أو الكذب فيه ، وإلا لو كانوا معتقدين عصمته ما تجرؤوا على فعل ذلك.

(٣) انظر: للقرافي / محمد بن صفي الدين الحنفي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ص ٨٢، وما بعدها ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية ، بدون بيانات أخرى ، وانظر لأبي البقاء الهاشمي ، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٦٥٩/٢ وما بعدها ، مصدر سابق، وانظر للشيخ أبي الفضل السعودي المالكي، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ص ٢٧٧ وما بعدها ، تحقيق :رمضان الصفناوي ، دار الحديث – القاهرة ط١ سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

وتتبع الدكتور/ أحمد حجازي السقا ، جميع ما تم اقتباسه من العهد القديم، في كل إنجيل ورسالة ، على أنه نبوءات للمسيح ، مبينا ضلالهم فيه ، وانطباق تلك النبوءات على الرسول محمد– صلى الله عليه وسلم[١].

ثالثا :عدم مناقضتها للعقل والحقيقة.

يعتقد القمص بأن كتبهم المقدسة التي يؤمنون بها ليس فيها ما يتصادم مع علم ولا عقل ولا حقيقة من الحقائق ، وهذا دليل على أنها وحي من الله، فيقول: (لأن هذه الكتب المقدسة لم تتضمن شيئا يناقض العقل والآداب والحقيقة، فلا يمكن أن يكون اختراع البشر، ويسلم من كل هذه الشوائب)[٢] ، ونوضح بطلان هذه الشبهة فيما يلي.

أ– عدم مطابقة بعض الروايات في الكتب المقدسة لما حصَّلته المعارف الحديثة.

حسبنا أن نوضح للقمص بأن الوحي الصحيح لا يمكن تعارضه مع عقل سليم ولا مع علم حديث ، يصل الإنسان إليه في أي مرحلة من مراحل تقدمه العلمي ونموه العقلي ، واستحالة التعارض والتناقض والتضاد ، يدركها كل ذي عقل رشيد ، وفكر سديد ، ويقر بذلك المنصفون من الكتاب الغربيين أمثال الدكتور/ موريس بوكاي ، وغيره ، وإن أي دارس موضوعي لمدى توافق نصوص التوراة والإنجيل والقرآن ، المتعلقة بالناحية العلمية ، بمعطيات الحقائق العلمية الحديثة ، ليقف مشدوها أمام ما يلمس من وجود تعارض عشرات من نصوص التوراة والإنجيل بالحقائق العلمية الحديثة ، بينما لن يجد في القرآن نصا واحدا ، يجد فيه تعارضا ، بل ولا النزر اليسير من ذلك ، ويعود ذلك إلى أن منزل القرآن على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – هو نفسه خالق الأكوان ، ومن ثَمّ فلن تجد في بديع صنع الله ، ما يتعارض مع ما أنزله على رسوله من وحيه.

وفي حالة اكتشاف وجود تعارض بين الوحي والحقائق العلمية، فإن الأمر ليس كما يقول اللاهوتيون المسيحيون : (إذا حدث أي تضارب ملحوظ بينهما ، فالكلمة الفصل يجب أن تكون للكتاب المقدس)[٣] ، ولكن يجب الوقوف على أسباب ذلك ، والتي منها دخول التحريف على النص الذي كان أساسه وحيا ، كما في التوراة والإنجيل ، فلما دخل العمل البشري عليهما، وجد التعارض والتناقض ، حيث اعتراهما ما يعتري البشر من قصور وضعف ونقص، فالمدارك العقلية محدودة ، والآفاق الفكرية

(١) انظر كتابه : اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة – بيان ونقد ص ٥٤ وما بعدها، مصدر سابق.

(٢)رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ١١، مصدر سابق.

(٣) مجموعة من الباحثين اللاهوتيين ، المرشد إلى الكتاب المقدس ص ٦٨، مصدر سابق.

يستحيل عليها استشراف الغيب ، والتنبؤ بمستقبل الحياة ، تنبؤا دقيقا ، بحيث لا تنقضه المعارف الحديثة في فترة من الزمن.

يقول موريس بوكاي عن حادثة الطوفان :(عندما نجتهد في تحقيق أخبار الكتب المقدسة بمساعدة المعطيات الأكيدة، فإن عدم مطابقة الرواية التوراتية – في تحديدها وقت الطوفان ومدة دوامه – لما حصلته المعارف الحديثة واضح كل الوضوح. بينما تثبت الرواية القرآنية بالمقابل براءتها من كل عنصر يبتعث الانتقاد الموضوعي. وهل استحصل الناس بين عصري رواية التوراة ورواية القرآن على معلومات توضح مثل هذا الحادث؟ بالتأكيد كلا. لأن الوثيقة الوحيدة التي كانت بين يدي الناس ما بين العهد القديم حتى ظهور القرآن عن هذا التاريخ كانت هي التوراة بالذات) (١).

ويقول عن تصديق الحقائق العلمية لما ورد في القرآن من وصف مراحل تطور الجنين :(إن وصف مراحل تطور الجنين كما هو في القرآن يتجاوب مع كل ما نعرفه اليوم عن ذلك. وهو لا يحتوي أية عبارة ينتقدها العلم الحديث)(٢).

ب– استحالة بعض العقائد في نظر العقل السليم بشهادة منصفيهم.

ونسأل القمص سرجيوس عن عقيدة التثليث ، هل يستسيغها عقل سليم ، أو يؤيدها فكر صحيح ؟ كيف يتم حل هذا اللغز الذي يتلخص في هذه المعادلة؟ إله واحد= إله واحد + إله واحد + إله واحد. لذا : إله واحد = ثلاثة آلهة[٣]، ونحن نعلم من الرياضيات أن واحدا لا يمكن أن يساوي (واحدا + واحدا + واحدا)، وبعبارة أخرى فإنه لا يمكن أن يكون الواحد مساويا لثلاثة [٤].

ولهذا خير للقمص ومن يقول برأيه أن يقوموا بتحكيم عقولهم في أمور عقائدهم ،عسى أن يصلوا إلى هذه النتائج والحقائق التي وصل إليها من المسيحيين كثيرون، ولم يجدوا غضاضة من الاعتراف بها، ومن أن يسطروها في كتبهم ، خدمة للعلم ، وإنصافا للحقيقة.

---

(١) موريس بوكاي ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص ٢٥٨، ترجمة الشيخ : حسن خالد ، مفتي الجمهورية اللبنانية ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ سنة ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

(٢) المصدر السابق ص ٣٤٣.

(٣) د/ عبد الأحد داوود ، محمد – صلى الله عليه وسلم – كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص ٣٠، ترجمة : محمد فاروق الزين ، مكتبة العبيكان ، ط١ سنة ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.

(٤) المصدر السابق ص ٢٩.

يقول د/ رادوار ج . يونج:(مما لا شك أننا نواجه في عقيدتنا عن الوحي ، الكثير من الصعاب المربكة ، والحقيقية ، ومن الحق أن نعترف بذلك..... هناك صعاب لا شك فيها في المعتقدات الكتابية ، وهي حقيقة لا يستطاع تجاهلها)[١].

ثم ضرب مثالا بعقيدة التثليث قائلا: (ألا تبدو عقيدة التثليث مثلا سرا كبيرا ، ويخدع نفسه من يظن أنه قادر على الإحاطة بها على نحو كامل شامل ، ولا شيء أفضل من أن نقبلها بالإيمان والفرح)[٢].

وضرب مثالا آخر بالمسيح قائلا: (وهناك أسئلة محيرة ، فيما يذكره الكتاب المقدس عن شخص سيدنا ، فهل تتحول عن يسوع المسيح لمجرد أننا نعجز عن الجواب النهائي عن هذه الأسئلة؟)[٣]، ثم يقول مجملا لا مفصلا :(إن هناك الكثير من الأمور في الكتاب ، مما لا يمكن فهمه فهما كاملا ، كما أن هناك من الصعاب ما لا يستطاع حله حلا نهائيا) [٤].

أمَا عقيدة التجسد فإن عقل الأريب يحار فيها ، ويطيش بسببها إذا حاول فهم معناها ، واستكناه حقيقتها ، فكيف ينزل إله على الأرض على شكل إنسان ، ويأكل مما يأكلون ، ويشرب مما يشربون !!!؟

لهذا نجد كاتبا مثل القديس جوستين لا يتحرج من الكتابة قائلا:(إننا حين نقول إن الكلمة تجسدت في المسيح من غير اجتماع جسدي ، إنما نعني أمرا أكثر غرابة من تلك القصص التي تروي ولادة أبناء زيوس) [٥]، وكان الباحث الألماني د. ف. ستراوس قد كتب يقول :(الحقيقة أن كل من يعلن إيمانه بهذه العقيدة إنما يعلن تخليه عن كل قوانين التفكير البشري)[٦].

ويقول ثالث:(لست تقدر أن تجعل قانون الإيمان المسيحي سهل القبول ، وهو في الواقع أعظم شئ في الكون ، وأكثره بعدا عن التصديق – كيف لا وهو قائم على أن الله صار إنسانا) [٧].

---

(١) د/رادوار ج . يونج، الكتاب المقدس في الميزان ص ٧١ ، مصدر سابق.

(٢)المصدر السابق ص ٨٢ .

(٣) د/رادوار ج . يونج ، الكتاب المقدس في الميزان ص ٧٠ ،مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق من نفس الموضع.

(٥) أندريه نايتون ، إدغار ويند ، كارل غوستاف يونغ ، الأصول الوثنية في المسيحية ص ٣٢ ، ترجمة: سميرة عزمي الزين ، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ، بدون بيانات أخرى.

(٦) المصدر السابق ص ١١٥.

(٧) د/ بترس سميث ، حياة يسوع ص ٣٨ ، ترجمة : حبيب سعيد ، إصدار جمعية نشر المعارف المسيحية – بولاق – مصر سنة ١٩٣٥م.

وهل يؤيد عاقل ما تذكره التعاليم الكتابية من الرحلة التي قام بها السيد المسيح إلى الأموات ، وأنه كرز بالإنجيل للموتى ، وأن أرواح الرسل قامت بنفس هذه المهمة ، عقب انسلاخها من الجسد في الكرازة ، ليس فقط لليهود والقديسين ، بل للوثنيين أيضا ، ما دامت الفرصة لم تتوافر لدى هؤلاء لسماع الأخبار من قبل(١)، كما ورد في رسائل بولس (وَأَمَّا أَنَّهُ «صَعِدَ»، فَمَا هُوَ إِلَّا إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوَّلًا إِلَى أَقْسَامِ ٱلْأَرْضِ ٱلسُّفْلَى) رسالة بولس إلى أهل أفسس٤: ٩، وقال بطرس: (فَإِنَّهُ لِأَجْلِ هَذَا بُشِّرَ ٱلْمَوْتَى أَيْضًا، لِكَيْ يُدَانُوا حَسَبَ ٱلنَّاسِ بِٱلْجَسَدِ، وَلَكِنْ لِيَحْيَوْا حَسَبَ ٱللهِ بِٱلرُّوحِ) رسالة بطرس الأولى ٤: ٦.

رابعا: وحدة معانيها.

على الرغم من التناقضات الواضحات بين نصوص التوراة والإنجيل ، بل بين نصوص الكتاب الواحد منها ، والتي جعلت القس منسي يوحنا، يهرع إلى تأليف كتاب وسمه ب (حل مشاكل الكتاب المقدس)[٢]، أورد فيه الاختلافات والتناقضات التي وجدت بين ثنايا الكتاب المقدس ، وأخذ يحاول جمع الثلم ، ورد الشعث، وحجب العوار، وتكحيل العين المصابة بالرمد ، وذلك كله بتكلف شديد وموغل ، يشعر به كل من طالع كتابه.

وعلى الرغم من ذلك فإن القمص يدعي أن من الدلائل الواضحة على أن كتابهم غير محرف ، أنه فريد في ترابط معانيه ، وعدم تناقضها أو تضارب بعضها ببعض ، على الرغم من كثرة الموضوعات الجدلية التي تم طرحها فيه ، وكثرة عدد الأشخاص الذين قاموا بكتابته ،حتى وصلوا إلى خمسين شخصا ، يضاف إلى ذلك طول الفترة الزمنية التي تمت الكتابة فيها ، فقد بلغت ألفا وستمائة سنة، وهذا – بنظره –لأنه لم ينسقه أحد سوى روح الله القدس ، فيقول عن ذلك– في معرض إيراد الأدلة –على عدم تحريف الكتب المقدسة بنظره:

(ما فيها من وحدة المعنى مع التقدم في إيضاح الموضوع، فإن أسفاره قد كتبت في أزمنة متنوعة في أثناء ألف وست مئة سنة بواسطة نحو خمسين شخصا، ومع ذلك فإن كل من يطالعها بالتدقيق يراها كتابا واحدا، تأليف شخص واحد، ناشئ عن عقل واحد)[٣].

---

(١) انظر : المصدر السابق ص ٣٧٥.

(٢) طبعته دار المحبة ، وليس عليه رقم طبعة وتاريخ. وإن تعجب فاعجب إلى ما ذكره القديس يوحنا ذهبي الفم عن التناقضات بين الأناجيل حين قال : (إن ما يرى في البشائر من الفرق هو من أعظم البينات على صحتها ، لأنه لو كان اتفاق تام في كل الأمور ، لكان أعداء الحق يقولون : إن الكتبة قد تشاوروا أولا واتفقوا على ما يقولونه) انظر نفس المصدر ص ١٥.

(٣)رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ١٠، مصدر سابق.

وهذا القول الذي يردده القمص وغيره ذُكر منذ أن أعلن مؤتمر الدراسات المسكونية الذي عقد عام ١٩٤٩ في اكسفورد (انكلترا) أن وحدة العهدين القديم والجديد ليست قائمة على تطور طبيعي ولا على تماثل تعوزه الحياة والحركة ، إنما على فعالية عمل الله الخلاصي في تاريخ شعب واحد ، بلغ كماله في المسيح[١]، فمنذ ذلك الحين وعلماء اللاهوت التقليديين طالما رددوا فكرة الوحدة بين نصوص العهد القديم والجديد، وأن العهد القديم غير كامل بدون الجديد، ونوضح تهافت هذا الدليل فيما يلي.

أ-التناقض بين الدعوة إلى التوحيد في العهد القديم والدعوة إلى التثليث في العهد الجديد.

لو قرأ أحد العهد القديم والجديد لوجد عجبا، واشتعل رأسه شيبا، وشعر بسيل عرم من التناقضات والمتضادات ، التي يستحيل أن يكونا من كلام الله ، الذي لا تناقض فيه ولا اختلاف،وأيُّ كتاب يُكتب في فترة زمنية طويلة كتلك التي حددوها هم بأنفسهم ، وأقر بها سرجيوس – أنها زهاء ألف وستمائة سنة ، ثم لا يكون فيه ثمة تناقض واضطراب وتحريف ؟ وأيُّ كمال يُنشد في كتاب كتبه خمسون شخصا، من جنسيات مختلفة، ومن كل فئات المجتمع، وبلغات مختلفة كالعبرية والآرامية التي كتب بها العهد القديم، أو اللغة اليونانية التي كتب بها العهد الجديد؟

وأي اتفاق بين العهد القديم والجديد ، والتناقضات موجودة بين نصوص كل منهما بمفرده ، فضلا عن ادعاء القمص باتفاق كليهما ، وإذا كان النصارى يعتقدون بوحدة النصوص بين العهدين، فإن هناك نصوصا في التوراة تدعو إلى التوحيد الخالص[٢] ، فهل يتوافق دين النصارى الذي يدعو إلى التثليث مع تلك النصوص؟!!! ،و هل كان أنبياء العهد القديم على علم بعقيدة التثليث؟!

ولو أخذنا بشهادة لوقا،واعتبرنا الوحدة بين العهدين– كما قال القمص – فإن إشعياء شهد بأن عيسى نبي وليس بإله ، ولا ابن إله كما هو المُدّعي ، قال لوقا: (وَجَاءَ إِلَى ٱلنَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ ٱلْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ، فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ ٱلنَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ ٱلسِّفْرَ وَجَدَ ٱلْمَوْضِعَ ٱلَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ: «رُوحُ ٱلرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ ٱلْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ ٱلْمُنْكَسِرِي ٱلْقُلُوبِ، لِأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِٱلْإِطْلَاقِ ولِلْعُمْيِ بِٱلْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ ٱلْمُنْسَحِقِينَ فِي ٱلْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ ٱلرَّبِّ ٱلْمَقْبُولَةِ». ثُمَّ طَوَى ٱلسِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى ٱلْخَادِمِ، وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ ٱلَّذِينَ فِي ٱلْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ.فَٱبْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّهُ ٱلْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا ٱلْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ». وَكَانَ ٱلْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ ٱلنِّعْمَةِ ٱلْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ، وَيَقُولُونَ: «أَلَيْسَ هَذَا ٱبْنَ يُوسُفَ؟».

---

(١) ف. كيزيتش ، المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث ص ٢٨ ، تعريب الأب ميشال نجم ، منشورات النور ، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٢) انظر مثلا سفر الخروج ٢٠: ١، ٢.

فَقَالَ لَهُمْ: «عَلَى كُلِّ حَالٍ تَقُولُونَ لِي هَذَا ٱلْمَثَلَ: أَيُّهَا ٱلطَّبِيبُ ٱشْفِ نَفْسَكَ! كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي كَفْرِنَاحُومَ، فَٱفْعَلْ ذَلِكَ هُنَا أَيْضًا فِي وَطَنِكَ». وَقَالَ: «ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولًا فِي وَطَنِهِ) لوقا ٤: ١٦-٢٤.

ب- التناقضات بين الأناجيل.

هل يجهل القمص أن إنجيل يوحنا يختلف عن الأناجيل الثلاثة الأخرى اختلافا جذريا ؟ ويفترض الكاتب حسب الظاهر أن قراء الإنجيل لديهم معرفة مسبقة للحقائق المتعلقة بحياة يسوع ، ويكمّل يوحنا الأناجيل الأخرى ، وهو يدون بشكل خاص تعاليم يسوع لا سيما عن نفسه ، بأسلوب مغاير تماما لأسلوب متى الذي يركز هو الآخر على تعاليم يسوع(١)، فهناك قاسم مشترك فقط بين الأناجيل الثلاثة فقط، المسماة بالإزائية (المتطابقة) (مرقس – متى – لوقا)(٢) .

وكان الأستاذ حبيب سعيد صريحا غاية الصراحة حينما قال:(يجب التسليم في غير مواربة أن هناك بعض الفارق أو التناقض أو الاختلاف في قليل من الروايات ، وقد لوحظت هذه الحالات من القرن الثاني ، واتخذها الهراطقة مادة للنقد والتجريح ، وكان النقد في ذلك الزمن البعيد محصورا في الفوارق بين سلسلة نسب يسوع ، كما رواها كل من متى ولوقا ، وبين الترتيب التاريخي و التسلسل الزمني لبعض الحوادث في رواية يوحنا عند مقارنتها برواية البشيرين الثلاثة الآخرين ، ولم يدع أحد العصمة اللفظية الحرفية لروايات الإنجيل ، فقد كان الكتّاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التي يخضع لها الكتاب عادة في كل جيل(٣).

ومن يقرأ سفر إشعياء يشعر أنه ينقسم انقساما ضروريا إلى قسمين مختلفين في الزمن والموضوع والأسلوب اختلافا كبيرا ، الجزء الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الأربعين ، والثاني من الإصحاح الأربعين حتى نهاية السفر(٤).

---

(١) مجموعة من الباحثين اللاهوتيين ، المرشد إلى الكتاب المقدس ص ٥٣٤ ، مصدر سابق.

(٢)المهندس رياض يوسف داود، مدخل إلى النقد الكتابي ص ٣٣ ، ، دار المشرق – بيروت ط١ سنة ١٩٩٧م، ويقول عنها الأستاذ/ عباس محمود العقاد :(اشتهرت باسم أناجيل المقابلة ، لإمكان المقابلة بين ما فيها من الأخبار والوصايا على اختلاف الترتيب). انظر كتابه : حياة المسيح ص ١٤٥، نهضة مصر سنة ٢٠٠٥م، بدون رقم طبعة.

(٣) حبيب سعيد ، أديان العالم ص ٢٥٨، ٢٥٩، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية –القاهرة ، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٤) زالمان شازار ، نقد العهد القديم ص ٢٩٩، ترجمه من العبرية : د. أحمد محمود هويدي ، رؤية للنشر والتوزيع – مصر ط١ سنة ٢٠١٤م.

وهل القمص يجهل ما توصل إليه ، مع نهاية القرن الثامن عشر ، الدارسون الألمان ، الذين اتفقوا على أن الأسفار الخمسة تتكون من العديد من الشظيات المنفصلة ، التي قام محرر بضمها لبعضها البعض[1]؟.

ج-جئت لأكمل لا لأنقض.

يقول إنجيل متى على لسان السيد المسيح :(لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ ٱلنَّامُوسَ أَوِ ٱلْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ) متى ٥: ١٧.

يعلن المسيح هنا أنه لن يغير شيئا من شريعة موسى أو تعاليم أنبياء بنى إسرائيل ، وهذا التعهد لم يف به السيد المسيح ولا تلاميذه- بحسب الأناجيل،حيث إن المسيح.

-قام بإلغاء قائمة المحظور والمحرم من الحيوانات والطيور النجسة التي وردت في سفر اللاوين ،التي احتوت النسر والعقاب والحدأة والغراب والنعامة إلخ (اللاويين ١١: ١٣). لقد أحل السيد المسيح أكل ما سبق بقوله: (ٱسْمَعُوا وَٱفْهَمُوا.لَيْسَ مَا يَدْخُلُ ٱلْفَمَ يُنَجِّسُ ٱلْإِنْسَانَ) متى ١٥: ١٠.

-كما قام بولس الرسول بإلغاء الختان[2] رغم أنه كان عهدا بين إبراهيم أبي الأنبياء (عليه السلام) والله ،كما جاء في سفر التكوين ١٧: ٩ – ١١، لكن قام بولس الذي لم يكن تلميذا للمسيح بإلغاء الختان، لأنه كان عقبة أمام الكثير من الوثنيين لاعتناق المسيحية، فيقول: (إِذْ قَدْ سَمِعْنَا أَنَّ أُنَاسًا خَارِجِينَ مِنْ عِنْدِنَا أَزْعَجُوكُمْ بِأَقْوَالٍ، مُقَلِّبِينَ أَنْفُسَكُمْ، وَقَائِلِينَ أَنْ تَخْتَتِنُوا وَتَحْفَظُوا ٱلنَّامُوسَ، ٱلَّذِينَ نَحْنُ لَمْ نَأْمُرْهُمْ) أعمال الرسل ١٥: ٢٤.

-كما ألغت المسيحية تقديس يوم السبت، كما جاء في شريعة موسى، واستبدلوا به يوم الأحد[3].

- كما ألغت المسيحية مبدأ المعاملة بالمثل الذي ورد في العهد القديم (وَإِنْ حَصَلَتْ أَذِيَّةٌ تُعْطِي نَفْسًا بِنَفْسٍ، وَعَيْنًا بِعَيْنٍ، وَسِنًّا بِسِنٍّ، وَيَدًا بِيَدٍ، وَرِجْلًا بِرِجْلٍ، وَكَيًّا بِكَيٍّ، وَجُرْحًا بِجُرْحٍ، وَرَضًّا بِرَضا) خروج : ٢١:٢٣-٢٥ ، ألم ينسخه الإنجيل ؟!

قال وليم باركلي : (المسيح محا مبدأ ذلك القانون ،لأن مبدأ الثأر والمقابلة بالمثل لا مكان له في الحياة المسيحية ، مهما حددناه ووضعناه في القيود ، إن المسيحية جاءت لتمحو هذا المبدأ ، جاء

(١) كارين أرمسترونج ، تاريخ الكتاب المقدس ص ١٤٣ ، باختصار، ترجمة : د. محمد صفار ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٢) تتفق معظم الطوائف المسيحية وأقدمها على أن العشاء الرباني حل محل الفصح ، كما أن العماد حل محل الختان. انظر: القس حنا الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي ٣٣٢/٢، دار الثقافة – القاهرة – ٢٠٠١م.

(٣)د / بهاء النحال ،تأملات في الأناجيل والعقيدة ص٩٨ ، ٩٩ باختصار، بدون دار نشر، ط٢ سنة ١٩٩٤م.

المسيح ليستبدل هذا القانون القديم للانتقام المحدود بشريعة روحية تحمل روحا جديدة ، جوهره إزالة الغل والغيظ وعدم مقابلة المثل بالمثل (مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ ٱلْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ ٱلْآخَرَ أَيْضًا)[١].

فهذا كله دال على نقض التوراة ، وعدم التعويل على أحكامها وآدابها وانعدام الوحدة المدعاة من القمص بين العهدين ،يقول القديس إغريغوريوس :(كان في العهد القديم يقف الناموس كحائط وسياج يختفي الحق خلفهما ، وكان يمنع ظل الخيرات أن تأتى إلينا ، ولكن في العهد الجديد بعد أن جاء الرب يسوع نقض هذا الحاجز ، وجاء نور الكلمة إلى جماعة المؤمنين خلال الكنيسة ، وأقبل إلينا النور الحقيقي خلال التجسد الإلهي)[٢].

خامسا : شرائعها تتوافق مع النفوس كما يوافق الهواء الرئتين.

من الدلائل التي ذكرها سرجيوس على صحة الكتب المقدسة وعدم تحريفها وأنه موحى بها، توافق تعاليمها مع الفطرة البشرية التي خلق الله الناس عليها ، فليس فيها– بنظره– تعاليم تناقض ما جبلت الأنفس عليه ، ولا آداب تكدر صفو الحياة للإنسان، يقول عن ذلك: (تضمُّن هذه الكتب المقدسة لحقائق سامية، لا يمكن التوصل إليها بمجرد نور العقل أو الطبيعة ،وتصديقها على كل ما تشعر به ضمائرنا وطبيعتنا الأدبية ،وتوافقها مع نفوسنا كما يوافق الهواء الرئتين، وكما توافق حرارة الشمس أرضنا)[٣].

ولطالما ردد أتباع المسيحية هذه الأقوال المتضمنة بأن تعاليم كتبهم صالحة لكل مكان وزمان ، وأنها لا تناسب الأفراد فقط ، بل المجتمع أيضا ، فالمسيحية – بنظرهم – ليست مجرد سلوك فردي خاص وعبادة في الكنائس ، إنها نظام عالمي ينافس الأنظمة العالمية الأخرى ، وتبرهن بالحجة على أنها أعلى من أن تكون على قدم المساواة مع الماركسية ، والوجودية ، والقومية ، والرأسمالية ، إن كلا من هذه الأنظمة مؤسس على نظرته الخاصة للسلوك البشري ،أما المسيحي فيعتقد أن التعليم المسيحي من حيث هو حق يوافق المجتمع ويفيده ، أكثر من أي نظام آخر ، فالكتاب المقدس يقدم لإنسان القرن العشرين الشئ الذي يبحث عنه[٤].

(١) وليم باركلي ، تفسير العهد الجديد ١ / ١٠١ ، ١٠٢ باختصار ، مصدر سابق، والنص في إنجيل متى ٥: ٣٩.

(٢) القمص إغريغوريوس النيصي ، من مجد إلى مجد ص ١٢٩، تعريب وتقديم القمص : إشعياء ميخائيل ، سلسلة أقوال وكتابات الآباء القديسين ، مطبعة يوسف كمال ، ط٢ سنة ١٩٩٤م.

(٣) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص١١، مصدر سابق.

(٤) المرشد إلى الكتاب المقدس ص ٦٠، مصدر سابق.

و لنتحقق مما يدّعيه سرجيوس ونظراؤه من توافق شرائع الإنجيل الذي بين أيديهم مع النفوس البشرية ، توافق الهواء مع الرئتين ، وذلك بضرب أمثلة على ذلك مما يلي:

أ- **التشريعات الخاصة بالطلاق** ،حيث ورد منع الطلاق إلا لعلة الزنى ، جاء في إنجيل متى ١٩/ ٣ – ٩(وَجَاءَ إِلَيْهِ ٱلْفَرِّيسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ ٱمْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ ٱلرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِٱمْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ ٱلِٱثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ ٱثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَٱلَّذِي جَمَعَهُ ٱللهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». قَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلَاقٍ فَتُطَلَّقُ؟». قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنَ ٱلْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ إِلَّا بِسَبَبِ ٱلزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَٱلَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي) .

والحق الواقع أن في الطلاق هدما للأسرة وتمزيقا لشمل أفرادها، كما أن ضرره يتعدى الزوجين إلى الأولاد والأقارب، لكن إن لم تجد وسائل الإصلاح جميعها للتوفيق بين الزوجين كان الطلاق ضرورة لا مندوحة عنه، وذلك لدفع ضرر أكبر وتحصيل مصلحة أعظم، ألا وهي التفريق بين متباغضين من الخير أن يفترقا، لأن الشقاق والنزاع استحكم بينهما [(١)].

ولهذا قامت أوربا الآن تطلب إباحة تحريم الطلاق ،وافترقت فيه أمراؤهم ،فمنهم من اعتمد الإباحة ، ومنهم من توقف ونفسه تطالبه باتباعه ، ومنهم من تمسك.

والجرائد تسمعنا من أخبارهم جملا ، وترينا أمورا تشهد بأن الاختلاف قد تمكن فيما بينهم ، وبلغنا أنهم أباحوا للنساء أن يطلقن أزواجهن عندما يشتهين غيرهم (٢)، فهل كان (الكتاب المقدس على حق حينما لا يسمح إطلاقا بالطلاق على أساس عدم التجانس)(٣)؟ وهل حقا بهذا ما يتردد من أن (الشريعة المسيحية تحمي العائلة)؟[(٤)].

ب-**منع تعدد الزوجات**، الذي روعي فيه زيادة عدد الإناث على عدد الذكور ، المترتب على قتل الرجال في حروب وغيرها ، أو توفر الباءة عند الرجل ، بل هناك حكم كثيرة جدا في التعدد، منها

---

(١)السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود ص ١٥٦:١٥٨ باختصار،دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط١ سنة ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م ، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة .

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٦، مصدر سابق.

(٣) المرشد إلى الكتاب المقدس ص ٦٤، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق من نفس الموضع.

ما نعرفه ومنها ما لا نعرفه ، لكن القمص سرجيوس يري بأن الذين يقولون بالتعدد يقدحون في حكمة الله الذي خلق من البدء لآدم حواء واحدة ، ولم يحسب حسابا لزيادة الإناث في المستقبل على الذكور، وكأن الله كان بحاجة إلى هؤلاء المزواجين ليكونوا إلى جانبه يوم خلق حواء واحدة ليشيروا عليه بمثنى وثلاث ورباع[١]، ويعتقد أن من يجمع بين زوجتين معا مثله مثل رجل يجلس على مائدة الطعام ، ويمسك في كل يد رغيفا ، ويقضم من كل رغيف لقمة ، فيزدريه كل من تقع عليه عينه ،ويرميه بالشره والنهم وفراغ العين ، وهكذا كل مسيحي يريد أن يتزوج بامرأتين معا ، ينطبق عليه هذا التشبيه وأشد منه[٢].

ج-**محبة الأعداء. ورد** في إنجيل متى عن المسيح أنه قال: (أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ) متى ٥: ٤٤، ويفلسف وليم باركلي هذا النص فيقول: (إن محبتنا لأعزائنا أمر عاطفي يأتينا دون أن نسعى إليه ، بل ينبع من عواطف القلب ، أما محبتنا لأعدائنا ، فإنها ليست ناتجة من قلوبنا فقط ، بل من إرادتنا أيضا ، إن هذه المحبة التي يتطلب منا المسيح أن نقدمها لأعدائنا شئ نسعى إليه بإرادتنا وبنياتنا ، إنها انتصار على مشاعر العداء التي نشعر بها شعورا طبيعيا غريزيا[٣] .

ولكن الأمر في الواقع،أن هذه الأخلاقيات ضد ما جُبلت النفوس عليه،فهذا إفراط في الحب، ولا يقدر البشر على ذلك، لأن قلوبهم ليست في أيديهم، وفي المقابل قال المسيح : (إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَٱمْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا) لوقا ١٤: ٢٦ وهذا تفريط في الحب، وإفراط وغلو في البغض [٤].

ومن أجل هذا كله عقدت عشرات المؤتمرات المسيحية في أنحاء العالم لبحث تطوير القوانين و التشريعات الخاصة بالشؤون المدنية والأحوال الشخصية ، ولعل آخر هذه المؤتمرات المؤتمر الذي عقد في قبرص بين ٤ و٩ أيلول ٢٠٠٠م ، وكان مخصصا لكنائس الشرق الأوسط ، ومما قاله يومها الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط القس رياض جرجور أن القوانين الشخصية تظهر

---

(١) القمص سرجيوس ،الدكتور نظمي لوقا في الميزان – ردا على كتابه محمد , الرسالة والرسول ص ٩٧ ، بدون دار نشر ورقم طبعة وتاريخ، و من الرد عليه بأن نقول: وأما كون آدم لم تكن له إلا زوجة واحدة، فلا يدل ذلك على وجوب الاقتصار على الواحدة.وما كان يجوز له أن ينكح لو عاش إلى يوم القيامة لأنهن بناته وإن سفلن، ونكاح البنات حرام . انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ٢/ ٦٢٣ باختصار ،مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٠.

(٣) وليم باركلي ، تفسير العهد الجديد ١/ ١٠٢، مصدر سابق.

(٤) انظر : الأستاذ/ محمد رشيد رضا ، شبهات النصارى وحجج الإسلام ص ١٣، ١٤، دار المنار ط٢ سنة ١٣٦٧هـ.

عجزا متزايدا في تناول المشكلات والنزاعات ، فيفقد كثيرون الأمل بكنائسهم ، أو يتعرضون للابتزاز والاستغلال فيبحثون عن حلول خارج المسيحية ويتخلون عن ديانتهم[١].

كذلك شهد بعض علماء الغرب بعدم صلاحية الشريعة اليهودية للفرد والمجتمع ،وفي ذلك يقول رينان(ت١٨٨٢م):(لقد صارت تلك الشريعة أضيق رداء شد على جسم الحياة الإنسانية)[٢].

المطلب الثاني: أدلته على عدم إمكان وقوع التحريف في التوراة والإنجيل

أولا: جهالة تاريخ التحريف ومكانه.

ذكر القمص في ظل تقريره لأصالة الكتاب المقدس، وعدم إمكان وقوع التحريف فيه ، عدة أسئلة ، ووصفها بأنها أسئلة يعجز المسلمون عن الإجابة عليها، وأوردها في مستهل حديثه على أدلة عدم إمكان التحريف،فيقول:

(قولوا لنا متى وأين وكيف اجتمع ملايين العالم من مسيحيين ويهود، وتواطأوا مع بعضهم على تحريف التوراة والإنجيل ، وهل كان ذلك قبل محمد أو بعده؟ هل يستطيع القائلون بتحريف التوراة والإنجيل أن يدلونا على مؤرخ مسلم كان أو وثني أو يهودي ذكر شيئا ولو عابرا عن مؤتمر أو مجمع ، ضم جميع أجناس البشر من جميع القارات، من يهود ومسيحيين على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم، لتحريف الكتاب المقدس – التوراة والإنجيل) [٣].

و نفند هذه الشبهة فيما يلي.

أ–وقوع التحريف بواسطة أيادي مختلفة و في أزمنة مختلفة ، وليس جملة واحدة أو في مكان واحد.

لنا أن نذكر للقمص ، رد ول ديورانت (ت ١٩٨١م) ، الذي يرى أنه لا حاجة عقلية ، تدعو إلى معرفة الإجابة عن أسئلة، تماثل هذه الأسئلة التي طرحها القمص ، ولا فائدة علمية تُرتجى من وراء ذلك ، فيقول : (كيف كتبت هذه الأسفار؟ ومتى كتبت؟ وأين كتبت؟ ذلك سؤال بريء لا ضير منه، ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد، ويجب أن نفرغ منه هنا في فقرة واحدة ، نتركه بعدها من غير جواب) [٤].

---

(١) انظر :حسن الباش ، العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل ٢/٢٧٥ باختصار، دار قتيبة ، ط١ سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٢)قصة الحضارة ٢/٣٧٠، مصدر سابق.

(٣) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٢٨، ٢٩باختصار كبير، مصدر سابق.

(٤) قصة الحضارة ٢/٣٦٧، مصدر سابق.

ويري الباحث أن التحريف وقع تدريجيا بواسطة أيادي مختلفة على مر العصور والأزمنة، لعبت بالتوراة والإنجيل، وعبثت بنصوصهما، فعلى أيدي النساخ حصل تحريف، وعلى أيدي رجال الدين حصل تحريف، وعلي أيدي تلاميذ كتبة الأناجيل حصل تحريف ، وعلى أيدي المترجمين من اللغة الأصلية حصل تحريف ، وعلى أيدي مجاهيل كذلك ، سواء كان التحريف عن عمد أو غير عمد، فلم يقع التحريف جملة واحدة كما يظن القمص ، باجتماع شخصيات ما، في مكان ما ، من اليهود والنصارى ، ومعهم الأناجيل والتوراة وقاموا بالتحريف، بعدما زالت من بينهما الأحقاد والضغائن ، كلا ، فهذا ما لا يتصوره عاقل ، ولا يقول به أحد.

إن ما يميل الباحث إليه هو أن التحريف مر بأطوار متعددة ، وأن النسخة الأخيرة التي وصلت إلينا وقعت فيها تعديلات كثيرة ، ولو وجدت ثمة اكتشافات أخرى من النسخ المخطوطة للتوراة والإنجيل هنا وهناك ، ربما نشاهد حزمة أخرى من التعديلات في آيات وإصحاحات ، وإضافة أسفار وحذف أخرى ، تقرها أحد المجامع ، ويُحكم بهرطقة المخالفين.

وهذا على نحو ما ورد في النسخة اليسوعية للكتاب المقدس من القول :(وبوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصا مثبتا إثباتا حسنا ، وما من داع إلى إعادة النظر فيه إلا إذا عثر على وثائق جديدة)[١].

ب-إقرار النبي إرمياء بوقوع التحريف.

النبي إرمياء هو أول من أعلن صراحة عن وجود كذب في أقوال التوراة بسبب الكتبة ، حيث يقول : (كَيْفَ تَقُولُونَ: نَحْنُ حُكَمَاءُ وَشَرِيعَةُ ٱلرَّبِّ مَعَنَا؟ حَقًّا إِنَّهُ إِلَى ٱلْكَذِبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ ٱلْكَتَبَةِ ٱلْكَاذِبُ) إرمياء ٨:٨ ،رغم أن النبي إرمياء لم يوضح لنا طبيعة الكذب الذي قام به الكتبة ، لكن يتضح من مضمون العبارة إحداث أمور في التوراة ليست منها، مما أبعدها عن النص الأصلي ، ويمكن اعتبار هذه الإشارة من قبل النبي إرمياء أول إشارة نقدية)[٢]، لا سيما إن أضفنا إلى النص السابق إشارة إرمياء إلى التحريف صراحة في قوله : (أَمَّا وَحْيُ ٱلرَّبِّ فَلَا تَذْكُرُوهُ بَعْدُ، لِأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ، إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلَامَ ٱلْإِلَهِ ٱلْحَيِّ رَبِّ ٱلْجُنُودِ إِلَهِنَا) إرمياء ٢٣ : ٣٦.

ج- شهادات مجامعهم ومنصفيهم على وقوع التحريف.

(١)الكتاب المقدس – النسخة اليسوعية ص ١٥، مصدر سابق.

(٢) د / أحمد محمود هويدي ، نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي ص ١٤، دار رؤية للنشر – مصر، ط١ سنة ٢٠١٤م.

إن المجمع المسكوني الثاني في الفاتيكان (١٩٦٢-١٩٦٥م) اعترف صراحة بشوائب وبطلان بعض النصوص في الوثيقة المسكونية رقم ٤ عن الوحي ، ومما ورد في ذلك- مما يحدد موقف الكنيسة الكاثوليكية من قيمة مجمل النص وكذلك استحالة بعض المقاطع – قولهم:(إن الأسفار على أنها تتضمن أشياء شائبة وباطلة ، إلا أنها تبقي مع ذلك الشواهد على تربية حقيقية إلهية)[١] .

كذلك أقر المنصفون من مفكري المسيحية بالتحريف ، مثل دكتر سكندر كيدس- الذي هو من فضلاء المسيحية المعتمدين، حيث ذكر أن تأليف التوراة وقع بعد خمسمائة سنة ،من وفاة موسى[٢].

فتلك هي شهادات كتبهم وعلمائهم، فهل ينكرها القمص؟!!!، وسيأتي في العنصر (ثانيا) مزيد أدلة على وقوع التحريف وأمثلة من الإضافات على النصوص.

أمّا عن سؤاله ، هل كان التحريف قبل محمد- صلى الله عليه وسلم- أو بعده؟ فنحن المسلمين لا ندعي أن الكتب المقدسة لهم كانت غير محرفة إلى زمان ظهور محمد -صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك حرفت، بل ندعي أن هذه الكتب كانت قبل ظهور محمد- صلى الله عليه وسلم ، لكنها بلا إسناد متصل ، وأن التحريف كان فيها قبله يقيناً ، ووقع في بعض المواضع بعده أيضاً[٣].

ومن الأدلة على ذلك أن الله – تعالى – قد ذكر هذا التحريف في القرآن الكريم ، مما يدل على وقوعه منهم ، قبل أن ينزل القرآن ، على الرسول – صلى الله عليه وسلم ، وتضافرت الأدلة على قوع ذلك التحريف أيضا بعد ذلك.

ثانيا : وجود نسخ متعددة من التوراة والإنجيل.

ذكر القمص من الأدلة على عدم إمكان التحريف في التوراة والإنجيل ، وجود نسخ قديمة من الكتاب المقدس قبل القرآن وبعده ، ومن هذه النسخ النسخة المعروفة بالفاتيكانية ، لوجودها الآن بالفاتيكان، وقد نسخت قبل الهجرة بمائتين وخمسين سنة ,ومنها النسخة السينائية نسبة إلى طور سيناء الذي وجدت فيه، وهي الآن موجودة في مدينة بطرسبرج عاصمة روسيا في المكتبة الملوكية ،وتشتمل على التوراة والإنجيل معا ،وقد نسخت قبل الهجرة بمائتي سنة ، أو مائتين وخمسين سنة ، ومنها النسخة

(١) د/ موريس بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية ص ١٤٩ ، ترجمة فوزي شعبان ، المكتبة العلمية ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
(٢) انظر : إظهار الحق ١/ ١١٦، ١١٧.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٢٤.

المعروفة بالإسكندرية، وهي موجودة الآن في مدينة لندن، في متحفها الشهير ، وقد نسخت قبل الهجرة بمائتي سنة.

ومنها النسخة المعروفة بالأفرامية ، وهي الآن في مدينة باريس في المكتبة الملوكية ، وقد كتبت في الجيل الخامس للمسيح قبل مجيء محمد، بمائة سنة.

ويرى أنه قد قوبلت تلك النسخ المكتوبة قبل القرآن، مع النسح الموجودة الآن بين أيدي اليهود والنصارى، فوجدت مطابقة لها أشد المطابقة، وهذا دليل واضح على عدم تحريف الكتب المقدسة(١).

ونبيّن للقمص أن ادعاء صحة التوراة والإنجيل، بسبب وجود نسخ عديدة لهما ، محفوظة في المكتبات وفي البلدان المتفرقة هنا وهناك ، وأن النسخ متفقة فيما بينها ، لهو دليل هشُّ البنيان ، ولا يؤبه له للأسباب الآتية.

أ- اعتراف علماء المسيحيين بضياع النسخ الأصلية.

الذين رأوا أن النسخ ذاتها، قد اعتراها تبديل وتحريف، وإدخال وإخراج ، وزيادة ونقصان ،ومحو وإثبات، لحروف وكلمات وألفاظ ومباني ، وذلك بسبب أن (النسخ الأصلية قد ضاعت) [٢] ، وليست بأيديهم ، بفعل الزمن ، بل قالوا : لا نعلم لماذا لم يبق الله على المخطوطات الأولى للكتاب ؟[٣]، وعد أولوا العلم من المسيحيين أن ضياع النسخ الأصلية يعد من الأمور البديهة التي لا ينكرها أي إنسان ، وهم مقرون بأن أقدم مخطوطة وصلت إلى أيديهم تصل إلى النصف الأول من القرن الثاني ، أي بعد الانتهاء من كتابة كل أسفار العهد الجديد ببضع عشرات من السنين ، مع العلم بأن هذه المخطوطة لا تزيد عن بضعة أعداد قليلة من إنجيل يوحنا[٤].

فهذه المدة التي بين العثور على تاريخ أقدم مخطوطة وصلت إلى أيديهم ، وبين الانتهاء من كتابة أسفار العهد الجديد ، والتي قدرها بعضهم بأنها تتراوح من (٢٥ : ٦٠ سنة فقط) [٥]، أليست كافية لوقوع التحريف في الكتاب المقدس ، ودليلا على فقدان سنده المتصل؟

(١) انظر : رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٢٩، ٣٠، مصدر سابق.
(٢) نخبة من الباحثين اللاهوتيين ،مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ١/ ١٣، ١٤، مصدر سابق.
(٣) د/ رادوار ج . يونج، الكتاب المقدس في الميزان ص ٧٢، مصدر سابق.
(٤) القس فهيم عزيز ، المدخل إلى العهد الجديد ص ١١١، ١١٢ ، مصدر سابق.
(٥) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس ص ٢٨، مصدر سابق.

وهذا ما شهد به صاحب كتاب مدخل العهد الجديد في قوله:(أما الذي بحوزتنا الآن فهي منسوخة من نسخ تعود إلى قرون المسيحيين الأولى ،فكيف لنا إذاً أن نتأكد أن هذا فعلا هو ما كتبه المؤلف الأصلي، وأن أحدا ما لم يتلاعب بالمحتوى أثناء تناقله)(١).

ومعنى ذلك الكلام أن النسخ التي تم العثور عليها لم تكن بخط المؤلف الأصلي ،بل هي نسخ من نسخ، فكيف التأكد من أن ما في المخطوطة هو نفس ما دونه الكاتب الأصلي؟

ب- شهادات مسيحية بوجود الاختلاف بين النسخ.

كما نود أن نرد على القمص الذي يدّعي اتفاق النسخ فيما بينها ، بذكر بعض الاعترافات المسيحية التي ذكرت وقوع التحريف في بعض النسخ، مما أدى إلى اختلاف بعضها عن بعض ، وتباين بعضها عن بعض.

-يقول مؤلفو مرشد الطالبين:(وأما وقوع بعض اختلافات في نسخ الكتب المقدسة فليس بمستغرب ،عند من يتذكر أنه قبل اختراع صناعة الطبع في الجيل الخامس عشر ،كانت كل الكتب تنسخ بخط القلم، ولا بد أن يكون بعض النساخ جاهلا ، وبعضهم غافلا ، فلا يمكن أن يسلموا من وقوع الزلل ، ولو كانوا ماهرين في صناعة الكتابة ، ومتى وقعت غلطة في النسخة الواحدة ، فلا بد أن تقع أيضا في كل النسخ التي تنقل عنها ، وربما يوجد في كل واحدة من النسخ غلطات خاصة بها لا توجد في الأخرى ، وعلى ذلك تختلف الصور في بعض الأماكن على قدر اختلاف النسخ ، وفضلا عن ذلك ربما جعل بعض النساخ بجهالتهم حرفا مكان آخر ، أو كلمة مكان أخرى ، أو أسقطوا بغفلتهم شيئا من ذلك(٢).

- وورد عن العهد القديم في مقدمة الترجمة العربية الحديثة للكتاب المقدس - النسخة اليسوعية-أن بعض النساخ الأتقياء أقدموا بإدخال تصحيحات لاهوتية ، على تحسين بعض التعابير التي كانت تبدو لهم معرضة لتفسير عقائدي خطير(٣) ، وعن العهد الجديد تقول الترجمة :

(إن نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست كلها واحدة ، بل يمكن للمرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية ، ولكن عددها كثير جدا على كل حال . هناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد الصرف والنحو أو الألفاظ وترتيب الكلام ، ولكن هناك فوارق أخرى بين المخطوطات تتناول معنى فقرات برمتها ،واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير، فإنَّ نص العهد

(١) جون درين ، مدخل العهد الجديد ص ٤٤٩، مصدر سابق.

(٢)نخبة من اللاهوتيين ، مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ١/ ١٣، ١٤، مصدر سابق.

(٣) الكتاب المقدس – النسخة اليسوعية ص٥٣، مصدر سابق.

الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة ،بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء، التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت مهما بذل فيها من الجهد، بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه. يضاف إلى ذلك: أن بعض النساخ حاولوا أحياناً عن حسن نية ، أن يصوِّبوا ما جاء في مثالهم، وبدا لهم أنه يحتوي على أخطاء واضحة، أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي. وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ ... ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون، تراكم بعضه على بعضه الآخر، فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة، مثقلاً بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من القراءات)[١].

ولا نريد الاستطراد في جمع أقوال علماء المسيحيين التي تؤكد على أن النساخ أدخلوا تعديلات على ما نسخوا من مخطوطات ، لأن أمر وقوع الأخطاء في النسخ ، كان محل إجماع من علماء الكتاب المقدس ، حيث أجمعوا على أن المخطوطات الموجودة تحتوي على أخطاء بعض النساخ ، وتكتشف عادة عندما تتم مقارنة المخطوطات الأحدث بالمخطوطات الأقدم المتاحة ، وإذا تضمنت المخطوطات الأصلية أخطاء ، فإن النسخ والترجمات المتاحة اليوم ستحتوي على أخطاء أيضا[٢].

ج–نماذج من الإضافات التي جرت على النسخ، الدالة على اختلافها فيما بينها.

لكي يزداد الكلام السابق وضوحا ورسوخا في الذهن ، نذكر بعض الأمثلة على الإضافات التي وقعت للكتاب المقدس–والتي تدل على أن النسخ كانت مختلفة ، وليس كما ادعى القمص– وذلك فيما يلي:

– الإضافات الموجودة في سفر أستير ، فلقد ذكر عنها محررو دائرة المعارف الكتابية بكل جرأة (بأنه من الجلي أننا ندين بتلك الإضافات لأحد الغيورين من اليهود ، أراد أن يضفى على السفر مسحة دينية)[٣].

– ونفس الحال ينطبق على إنجيل مرقس ، فإن أفضل المخطوطات القديمة تنهي مرقس عند ١٦: ٨ ، ولكن الجملة غير كاملة ، مما يعتبر أمرا غريبا وغير مألوف في ختام بشارة ،و هناك اقتراحات أن الصفحة الأخيرة قد نزعت وضاعت مما دفع بآخرين لمحاولة ختامه بطريقة ملائمة ١٦: ٩– ٢٠[٤] ، ويتفق جميع علماء الكتاب المقدس الحديثين على أن هذه الخاتمة الممدودة إضافة متأخرة

(١) المصدر السابق ص ١٢، ١٣ باختصار يسير.
(٢) قصة الكتاب المقدس ص ٣٩، مصدر سابق.
(٣) دائرة المعارف الكتابية ، مادة أستير ١/ ٢١٧ ، مصدر سابق.
(٤)جون درين ، مدخل العهد الجديد ص ١٩١، مصدر سابق.

يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الثاني الميلادي[١] ، فقد أضيفت لتخفيف ما في نهاية الكتاب من توقف فجائي في الآية ٨[٢].

– وفي النسخة اليسوعية للكتاب المقدس ، تذكر الترجمة عن إنجيل يوحنا أيضا، أنه أصدره بعض تلاميذ المؤلف فأضافوا عليه الفصل ٢١ ، أما رواية المرأة الزانية ٧/٥٣–٨/١١فهناك إجماع على أنها من مرجع مجهول، وأدخلت في زمن لاحق ، (وهي مع ذلك جزء من قانون الكتاب المقدس)[٣].

فهل يستطيع القمص أن يكذب هذا الكلام ، وهل له أن ينكر شيئا من هذه الإضافات التي تم إلحاقها بسفر أستير أو بإنجيلي مرقس ويوحنا ؟!!

د–نقصان المخطوطات التي ذكرها القمص من أجزاء من الكتاب المقدس.

ذكر القمص وجود عدد أربعة مخطوطات للتوراة والإنجيل هي ،الأفرامية، الإسكندرية، السينائية، الفاتيكانية، بالرغم من أن أعداد المخطوطات تفوق هذا العدد ،ولكن يتم توضيح عيوب تلك المخطوطات الأربعة في الآتي:

–النسخة الأفرامية . هذه النسخة أخذها شخص وكتب عليها مقالات لمار افرآم السرياني في القرن الثاني عشر ، وبواسطة العلم الحديث أمكن إزالة كتابة مار افرآم نحو سنة ١٨٣٤م ، فظهرت الكتابة الأصلية للكتاب المقدس ، ولا تحوي رسالتي (٢ تس ، ٢ يو) .

– النسخة الإسكندرانية . وهذه ينقصها من المزامير (مز ١٩:٤ ، ١٠:٧٩) ، وأجزاء من (متى ، يوحنا ، كورنثوس الثانية ، مزامير سليمان)[٤].

– المخطوطة السينائية. وهذه قد عثر عليها تشندرف في سلة للمهملات في جبل دير سيناء عام ١٨٤٤م ، ولا تحوي الكتاب المقدس كاملا كما يدعي القمص ، وإنما تحوي أكثر من نصف العهد القديم ، وكل العهد الجديد ما عدا مرقس ١٦: ٩– ٢٠ ،يوحنا ٧: ٥٣ ، ١٨: ١١ ، كما في (كتاب وقرار)[٥] .

(١) د/ نهاد خياطة ، الفرق والمذاهب المسيحية ص ٣٩،دار الأوائل ، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٢) الكتاب المقدس – النسخة اليسوعية ص ١٣٤، مصدر سابق.

(٣)المصدر السابق ص ٢٨٦، باختصار.

(٤) القمص ابرآم أنور ، رحلة مع مخطوطات الكتاب المقدس ص١٤، ١٨ ، ترجمة د. ماريان منير ، مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط ، بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٥) كتاب وقرار ص٤٤، مصدر سابق ، وانظر : حبيب سعيد ، المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤،٢٥ ، مصدر سابق.

–أما النسخة الفاتيكانية التي تعتبر من أثمن مخطوطات الكتاب المقدس، فهذه تنقصها أجزاء من سفر التكوين ، وصموئيل الثاني ، والمكابيين الأول ، وسفر الرؤيا[١].

ويستحي عاقل من إيراد أسباب العثور علي بعض مخطوطات الكتاب المقدس ، فالنسخة السينائية –كما ذُكر آنفا –وُجدت في سلة للمهملات باعتراف المصادر المسيحية ، وظلت مخطوطات وادي قمران سجينة في كهف إلى أن حررها عن طريق الصدفة ، الراعي محمد الديب ، وسلمها للعلماء لفك الرموز[٢].

فهل تلك النسخ ، التي حالتها كذلك ، توصف بأنها متفقة فيما بينها ،كما ادعى القمص ، أم أن بكلٍّ من إحداها نواقص ، تؤكد على عدم اتفاقها مع الأخرى؟ وأي عصمة مدعاة لنسخ توجد بمحض الصدفة ، أو توجد في سلال قمامة ؟!!

ثالثا : اتفاق النسخ عند سائر الطوائف النصرانية.

يدّعي القمص اتفاق نسخ الإنجيل عند جميع طوائف النصرانية ، ويجعل من هذا الاتفاق ذريعة وسببا لعدم إمكان وقوع التحريف فيها، فيقول: (إذا قابلنا النسخ العديدة الموجودة عند سائر الطوائف النصرانية ،لا نجد بينها اختلافا في عقيدة من العقائد أو في واجب من الواجبات ، فلو كانت كل فرقة حرفت الإنجيل لوحدها بدون أن تتحد مع باقي الفرق في أحداث التحريف لما كان يوجد اتفاق بين النسخ و بعضها، إذ لا يمكن أن التحريف يكون واحدا في النسخ بدون اتفاق تلك الطوائف والمذاهب على التحريف)[٣].

ودعوى القمص سرجيوس باتفاق النسخ العديدة الموجودة من الكتاب المقدس عند سائر الطوائف النصرانية ، هي كلام لا يرقى إلى أي درجة من الصحة لما يلي.

أ– وجود تباين واختلاف كبير بين موقف الفرق النصرانية في القديم من الإنجيل وموقفهم من قانونية بعض الأسفار.

فلقد كانت الفرقة الإبيونية تسلم من كتب العهد العتيق بالتوراة فقط، وكانت تنفر عن اسم داود وسليمان وإرمياء وحزقيال –عليهم السلام، وكان من العهد الجديد عندها إنجيل متى فقط، لكنها كانت حرّفته في كثير من المواضع، وأخرجت البابين الأولين منه(٤).

(١) رحلة مع مخطوطات الكتاب المقدس ص ١٥ ،مصدر سابق.
(٢)القس حنا الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي ٣٤٣/٢ ،مصدر سابق.
(٣) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٢٧ ،٢٨، مصدر سابق.
(٤) إظهار الحق ٢/ ٥٤٨باختصار.

وكانت الفرقة المارسيونية ترد جميع كتب العهد العتيق، وتقول إنها ليست إلهامية، وكذا ترد جميع كتب العهد الجديد أيضاً إلا إنجيل لوقا وعشر رسائل من رسائل بولس، وهذه المسلمة أيضاً عندها كانت مخالفة للموجودة الآن، فعلى هذا الكتب المذكورة الموجودة الآن محرّفة عند الفرقة المذكورة ومخالفوها يرمونها بالتحريف [١].

ويقوم مذهب المرقيونيين على اطراح العهد القديم في جملته وتفصيله،ولا يعترف كذلك بمعظم أسفار العهد الجديد[٢]، وأنكر الأريسيون جميع ما في الأناجيل من العبارات التي توهم ألوهية المسيح[٣]، وهناك شهود يهوه الذين يعتقدون أن الفقرة الخاصة بعقيدة التثليث مزيفة ، ولا أثر لها في النسخ العريقة في القدم [٤].

ب- وجود فروق في عدد أسفار الكتاب المقدس التي يؤمن بها أتباع الكنائس .

لا يجهل القمص الفروق في عدد أسفار الكتاب المقدس بين الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية والأثيوبية ، حيث إن الكاثوليك والأرثوذكس يؤمنون بما جاء في الترجمتين اليونانية القديمة واللاتينية القديمة مع اختلاف طفيف بينهم في عدد الأسفار التي لا يعترف بها الأرثوذكس ويشكون في صحتها ويسلّم بصحتها الكاثوليك وهي أسفار:

باروخ (إرمياء ٣٦: ٣٢)، والمكابين الأول والثاني[٥].

أمّا الكتاب المقدس الحبشي، فإنه يضم ٤٦ سفرا في العهد القديم ، و٣٥ سفرا في العهد الجديد ، فعلاوة على الأسفار القانونية (المعترف بها) فإنهم يقبلون راعي هرماس ، وقوانين المجامع ، ورسائل أكليمندس ، والمكابيين ، وطوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، ويشوع بن سيراخ ،وباروخ ، وأسفار أسدارس الأربعة ، وصعود إشعياء، وسفر آدم ، ويوسف بن جوريون ، وأخنوخ ، واليوبيل [٦].

---

(١) المصدر السابق ٢/٥٤٩.

(٢) د/ علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ٩٨ ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ط١ سنة١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٣) المصدر السابق ص ١٠١.

(٤) العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل ٢/٢٦٩، مصدر سابق.

(٥) إبراهيم خليل أحمد ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ص ٣٠، دار المنار ط١ سنة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

(٦) دائرة المعارف الكتابية – مادة إثيوبيا ١/٨٣.

وصرح (الدكتور بِلْس) ،وهو من علماء البروتستانت، أن بعض الرسائل في العهد الجديد، كانت مردودة لدى الكنائس السريانية وكنائس العرب[1].

ويوضح لنا البابا شنودة الثالث(ت ٢٠١٢م)اختلاف كتب البروتستانت عن كتب الأرثوذكس والكاثوليك فيقول عن البروتستانت:

على الرغم من كلامهم عن (الحق الكتابي) إلا أننا نأخذ عليهم هنا أمرين هامين:

١-عدم إيمانهم ببعض أسفار الكتاب مثل طوبيا ، يهوديت ، يشوع بن سيراخ ،وباروخ ، وسفر الحكمة، وسفري المكابيين ، وبعض أجزاء أخرى من الكتاب ، واعتبارهم إنه أبوكريفا ، وعدم ضمها إلى الكتاب كما تضم في ترجمة الكاثوليك للكتاب.

٢-لا يتعاملون مع العهد القديم بالاحترام اللائق لكل تعاليمه ، كما لو كان السيد المسيح قد نقض الناموس أو الأنبياء، أو اعتبار أشياء جوهرية في العهد القديم ، وكأنها كانت مجرد رموز، وانتهت في العهد الجديد[2].

ولا ندري لماذا غض القمص طرفه عن جميع هذه الأمور سالفة الذكر ،حتى يذكر أن الاتفاق بين النسخ، دليل على عدم التحريف ؟ فاختلاف نسخ الكتاب المقدس بين كنائس الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس والكنيسة الحبشية أوضح من الشمس في رابعة النهار.

ولهذا كان العلماء المسلمون منذ القرن الثامن الهجري، متيقظين للرد على هذه الشبهة غاية التيقظ ، فيقول ابن القيم(٧٥١هـ): (وقولهم: أن نسخ التوراة متفقة في شرق الأرض وغربها، كذب ظاهر، فهذه التوراة التي بأيدي النصارى، تخالف التوراة التي بأيدي اليهود، والتي بأيدي السامرة، تخالف هذه وهذه،

---

(١)فيقول:(أصِرُّ على أن رسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ليست من تصنيفات الحواريين. وكانت الرسالة العبرانية مردودة إلى مدة ، والكنائس السريانية ما سلموا أن الرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهوذا، وكتاب المشاهدات ، واجبة التسليم، وكذا كان حال كنائس العرب ، لكننا نسلم) انظر: إظهار الحق ١/١٥٩،مصدر سابق، وانظر : مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ص ١٢، مصدر سابق، وانظر قصة الكتاب المقدس ص ١٣ ، مصدر سابق.

(٢) البابا شنودة الثالث ، في الحوار اللاهوتي- اللاهوت المقارن ١/ ١٥، الناشر:الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس – القاهرة، ط٢ سنة ١٩٩٢م . وأي حكم للإنجيل في نظر الكاثوليك ،وأي حاجة إلى الكتب المقدسة لقوم يعتقدون أن كل ما قرره حبر رومية الأعظم الجالس على كرسي الخلافة البطرسية وحكم به ، فيما يعود إلى الأحكام والأخلاق العيسوية فهو قطعي ، تجب طاعته ، لأنه قد وهب من الله تعالى صفة العصمة. انظر: د/ عبد الأحد داوود، الإنجيل والصليب ص ١٨، بدون بيانات.

وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضها بعضا ويناقضه، فدعواهم أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقا وغربا من البهت والكذب الذي يروجونه)[١].

ومن هذا يتضح عدم اتفاق الطوائف النصرانية على كتب بعينها ، ونصوص بعينها ، وأسفار بعينها، يجعلونها مرجعية دينية لهم ، الأمر الذي يبطل النتيجة التي توصل إليها القمص ، وهي أن الاتفاق دليل على عدم التحريف ، لأنه إذا ثبت الاختلاف في النسخ بين الطوائف ، ثبت التحريف.

رابعا: كتابات آباء الكنيسة واقتباساتهم من التوراة والإنجيل.

كثيرا ما يستدل علماء اللاهوت على صحة الكتاب المقدس بمؤلفات الآباء واستشهاداتهم بنصوص الكتاب المقدس فيها ، وكثرة اقتباساتهم منه ،ولقد قضى السير دافيد دالرمبل زمنا طويلا درس فيه كل ما وصل إلينا مما كتبه آباء القرنين الثاني والثالث ، وتوصل إلى هذه النتيجة التي قال فيها: (لقد وُجِد في كتاباتهم – كل العهد الجديد ، ما عدا إحدى عشرة آية [٢].

ويقول عن ذلك القمص سرجيوس: (توجد عدة كتب قد كتبت من المعلمين الأتقياء الذين عاصر بعضهم الحواريين، وبعضهم جاء بعده، فمنها ما ألفه إكليمندس الروماني وأغناطيوس، ويوستينس الشهيد و إكليمندس الإسكندري ، وقد وضعوا مؤلفاتهم هذه في الجيل الأول والثاني من التاريخ المسيحي، ومنها ما ألفه أوريجانوس وأوسابيوس وافرايم السرياني ويوحنا فم الذهب، وقد وضعوا مؤلفاتهم في القرن الثالث والرابع ، وهؤلاء الآباء المؤلفون قد أوردوا في مؤلفاتهم هذه جملة آيات من العهد القديم والعهد الجديد، حتى قيل: إنه لو ضاع الإنجيل لأمكن جمعه مرة ثانية، من الآيات التي اقتبسها أوريجانوس في مؤلفاته.

وإذا قبلنا هذه الاقتباسات مع ما في نسخ التوراة والإنجيل التي يتداولها الآن النصارى واليهود، نري أنه لا يوجد فرق ولا اختلاف بينها. فوجود اتفاق بين الاقتباسات التي اقتبسها أولئك المعلمون من التوراة والإنجيل اللذين كانا بين أيديهم في تلك الأيام، وبين النصوص التي في التوراة والإنجيل الموجودين عند النصارى واليهود الآن ،لهو دليل قاطع على عدم وقوع تحريف في كتاب الله[٣].

---

(١)محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٣٠٨ ، ٣٠٩، المحقق: محمد أحمد الحاج ،دار القلم– دار الشامية، جدة – السعودية ، ط١ سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٢) انظر : كتاب وقرار ص ٤٩، مصدر سابق.

(٣) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٣٠ باختصار، مصدر سابق.

ومن أجل تقييم دور كتابات الآباء واقتباساتهم ، و لبيان تهافت الاعتماد عليها في تحقيق نصوص الإنجيل، نوضح الأمور الآتية.

أ- من محاذير الاستعانة بشواهد الآباء وكتاباتهم – كما ذكرتها المصادر المسيحية ، أنهم كانوا يستشهدون بالكتاب المقدس في أغلب الأحيان عن ظهر قلب ، ومن غير أن يراعوا الدقة العلمية مراعاة كبيرة.

ومما ورد في كتب الآباء من شواهد هناك ، ما هو للقديس يوستينس في منتصف القرن الثاني ، إذ استشهد بالإنجيل ، وقال على لسان يسوع : (سأحاكمكم على النحو الذي أجدكم فيه) ، فهذا القول لا يرد في الأناجيل الأربعة ، ولذلك يغلب على الظن أنه استقاه من التقليد الشفهي[١]، وإن لدى حبيب سعيد أدلة كثيرة، سوى ذلك، تبين أن الآباء الأولين اقتبسوا من الذاكرة في غير حرص وتدقيق[٢].

فكثيرا ما كان الآباء يذكرون الأجزاء التي يقتبسونها من ذاكرتهم مباشرة دون الرجوع إلى المخطوطة ، إما لأنهم كانوا لا يملكونها ، أو لأن استخراج النص كان من ضمن الأعمال الشاقة ، وكانوا أحيانا يقتبسون نفس العدد بطرق مختلفة في كتاباتهم ، فهم لم ينقلوا النصوص بحرفيتها ودقتها ، وإنما كانوا يعتمدون على الذاكرة التي تضل وتصيب ، ومعنى ذلك أنهم قد يزيدون ألفاظا أو ينقصون – كما ذُكر آنفا قول القديس يوستينس على لسان يسوع ،الذي ادعى أنه في الأناجيل وما كان منها.

ومن أجل ذلك قال مؤلفو المرشد إلي الكتاب المقدس:(هذا الدليل يجب أن يُستخدم بتحفظ ، بسبب عدم الدقة في الاقتباس عند بعضهم)[٣].

أمّا مؤلفو الترجمة اليسوعية للكتاب المقدس ، فكان قرارهم حازما جدا في عدم اعتماد هذا الدليل، ويتضح هذا من قولهم عن العهد الجديد:(كان الآباء- لسوء طالعنا- يستشهدون به في أغلب الأحيان، عن ظهر قلبهم ، ومن غير أن يراعوا الدقة، مراعاة كبيرة ، فلا يمكننا ، والحالة هذه ، الوثوق التام فيما ينقلون إلينا)[٤].

ب- ضياع المخطوطات الأصلية التي بيد الكتّاب الأصليين.

---

(١) مدخل إلى النقد الكتابي ص ٢٨، مصدر سابق.
(٢) حبيب سعيد ، المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٥٨، مصدر سابق.
(٣) المرشد إلى الكتاب المقدس ص٧٢ ،مصدر سابق.
(٤) الكتاب المقدس – النسخة اليسوعية ص ١٣.

فالمخطوطات الأصلية التي خرجت من يد الكتاب أنفسهم ليست موجودة ، وقد تمت الإشارة إلى هذه المسألة آنفا، وعليه(فإنه لا يمكن التأكد الكامل من أن الأجزاء التي اقتبسوها من الكتاب المقدس، لم يجر عليها أي تصحيح أو تغيير خلال الأجيال، التي كانت تنسخ منها باليد[١].

وهذا يشكك في اعتبار اقتباسات الآباء الأولين للكنيسة من الكتاب المقدس ، دليلا على صحته ، بل ولا يمكن التعويل عليها ، فبضياع المخطوطات الأصلية ، لا يمكن التأكد من أن اقتباسات هؤلاء الآباء لم يجر عليها ثمة تغيير أو تحريف، لأنه إذا ضاع الأصل كان الفرع غير مأمون الجانب.

- وهذا ما جعل صاحب كتاب (كتاب وقرار) بعد أن ذكر قيمة الاستشهاد باقتباسات الآباء على صحة الكتاب المقدس وسلامته، يقول بكل صراحة ووضوح: (على أننا نحتاج إلى مراعاة أمرين.

الأول :بعض الآباء اقتبسوا من الذاكرة ، ولم ينقلوا بالنص والحرف.

والثاني: حدثت بعض الأخطاء من النسّاخ عن عمد أو سهو[٢].

فهو يقر بوجود الأخطاء من النساخ سواء عمدا أو سهوا ، مما يوهن التعويل على هذا الدليل.

ج- غموض حياة بعض هؤلاء الآباء.

لقد أُعطى هؤلاء الآباء هالة من القداسة والتعظيم والمرجعية في تاريخ المسيحية ، في حين أن حياة بعضهم يكتنفها جوانب من الغموض والخفاء، الأمر الذي يبطل التعويل على كلامهم، ويضرب الباحث على ذلك مثالا بإكليمندس الروماني ، الذي ذكر اسمه آنفا- فيمن ذكر- القمص ، والذي تجله الكنيسة الرومانية، لأنه الأسقف الثالث لكنيستها في أواخر القرن الأول (٩٢-١٠١).

فهناك آراء متضاربة حول شخصيته ،فالبعض يرى أنه أحد معاوني القديس بولس في الخدمة، ويحتمل أن يكون يوناني أو روماني[٣] ، وبعضهم يرى أنه قريب للامبراطور تيبيربوس ، وقيل إنه كان عبدا يهوديا أو ابن عبد يهودي ، ولا أحد يعرف شيئا عن حياته على الإطلاق ،أما عن خاتمة حياته فبعض الكتابات تجعل منه شهيدا ، لكن الكتابات القديمة تذكر أنه مات ميتة طبيعية[٤].

ونفس الكلام ينطبق على أغناطيوس، أسقف أنطاكية، فهناك من يحاول أن يجعل منه تلميذا لبطرس وبولس ويوحنا ، وقال البعض : إنه أول أسقف على أنطاكية خلفا لبطرس الرسول أسقفها الأول ،

(١)القس فهيم عزيز ، المدخل إلى العهد الجديد ص ١٣٣، مصدر سابق.
(٢) جوش ماكدويل ، كتاب وقرار – بحث منطقي في صحة الكتاب المقدس ص ٤٨، مصدر سابق.
(٣) كذا في الأصل، والصحيح : يونانيا أو رومانيا.
(٤) انظر : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص ٤٦٢،٤٦٣ ، مصدر سابق.

وقيل : بل هو الخليفة الثاني لمار بطرس بعد أفوديس، وقيل : إن أفوديس رسمه بطرس،بينما أغناطيوس رسمه بولس ، وقالوا : إن أفوديس وأغناطيوس كانا معاصرين ، الأول على اليهود المتنصرين ، والثاني على الأمم المتنصرين [١].

هذا الاختلاف حول شخصيته ، فماذا عن رسائله ؟

ذكر الدكتور زكي رستم – مؤرخ الكرسي الأنطاكي –أن رسائل أغناطيوس ظلت مدة من الزمن موضوع جدل بين علماء الكنيسة وبين العلماء الإنجيليين ، فزعم هؤلاء أنها مزورة ، وقال أولئك بصحتها [٢] ، ووضح أنه قام في القرن الرابع من عني بهذه الرسائل ، فحرفها ، وأضاف إليها[٣].

أما أوريجانوس الذي قال عنه القمص آنفا: إنه قيل لو ضاع الإنجيل لأمكن جمعه مرة ثانية، من الآيات التي اقتبسها أوريجانوس في مؤلفاته، فإن هذه الشخصية كانت– بحسب المصادر المسيحية – ذات أخطاء لاهوتية عظمي ، حيث كان يعتبر الابن إلها ثانويا أدنى مرتبة من الآب ، وفي بداية كتابه المبادئ اعتبر الابن مخلوقا ، والروح القدس مخلوقا،و بسبب آرائه الشاذة –بنظرهم– أدين من تسعة مجامع ، كان آخرها مجمع القسطنطينية الثاني عام ٥٥٣م، الذي أدرجه ضمن الهراطقة القدامى[٤] ، ووصف المجمع كتاباته في القانون ١١من قرارته بأنها كفرية(٥).

فهل بعد ذلك تتوافر الثقة في اقتباسات الآباء أم تنخرم وتتراجع؟! وكيف يتم الأخذ بكلام أغناطيوس الذي تعرضت رسائله لعبث الناسخين بها، أو بكلام أوريجانوس وقد وُصف من المجامع بأن كتاباته تحمل بين جنباتها الكفر البواح ؟

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦٤.

(٢) د/ أسد رستم ،كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ٥٢/١، ٥٣ منشورات المكتبة البولسية – لبنان – سنة ١٩٨٨م ، بدون رقم طبعة.

(٣) المصدر السابق ص ٥٢. ولا قيمة لهذه الرسائل في العقائد البروتستانتية ،فلقد حاربها البروتستانت فترة طويلة . انظر : المطران كيرلس سليم بسترس ،الأب حنا الفاخوري ، الأب جوزيف العبسي البوليسي ،تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ص ١٤٢، المكتبة البولسية ، بيروت – لبنان ط١ سنة ٢٠٠١م.

(٤)القمص تادرس يعقوب ملطي ،نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولي ، ص ٧٢, ٧٣، الناشر : كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس باسبورتنج – الإسكندرية ط١ ٢٠٠٨م، وانظر عن (آراء أوريجانوس في الأسفار المقدسة وفي التقليد الرسولي) كتاب د/ زكى رستم –مؤرخ الكرسي الأنطاكي – آباء الكنيسة ص ١٢٦، منشورات المكتبة البولسية – لبنان ، بيروت ط٢ سنة ١٩٩٠م.

(٥)المطران كيرلس سليم بسترس ،الأب حنا الفاخوري ، الأب جوزيف العبسي البوليسي، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ص ٤١٥، مصدر سابق.

د- وجود أناجيل لم يقتبس منها الآباء وقد أقرتها الكنيسة، وفي المقابل توجد كتب اقتبسوا منها ورفضتها الكنيسة.

ماذا يكون موقف المسيحيين -والقمص على وجه الخصوص- إذا عرفوا بأنه لا توجد اقتباسات في كتابات إكلميندس الروماني وإغناطيوس وبوليكاربوس من إنجيل لوقا [(١)]، فهل يجب تجنب إنجيل لوقا وعدم الأخذ به ؟!!

وفي المقابل أيضا توجد كتب اقتبس منها الآباء، وأشاروا إليها في مؤلفاتهم ، ومع ذلك تم رفضها من قبل الكنيسة ، مثل الكتاب المنسوب لبطرس، يدعى (دعاية بطرس) ، أشار إليه إكليمندس الإسكندري واقتبس عنه كثيرا ، وكتاب بشارة العبرانيين ، وكتاب بشارة بطرس[(٢)]، فلماذا جعلتها الكنيسة من الأبوكريفا، وقد اقتبس منها الآباء ؟!!

ومثل ذلك صلاة منسي ، وكتابي عزرا الثالث والرابع ، حيث كان آباء الكنيسة يستخدمون هذه الكتب ، وكان الكتاب المقدس يطبع وهي فيه ، كما في طبعة الكتاب المقدس التي باللغة اللاتينية المنشورة سنة ١٥٩٢م ، وقد تم حذفها في الطبعات المتأخرة ، كما ذكر الأب سليم دكاش اليسوعي [(٣)].

فجميع هذه الأمور سالفة الذكر ، تجعل الطعن في قبول اقتباسات هؤلاء الآباء وكتاباتهم ورسائلهم من الأناجيل سهلا، وتقلل من أهمية الاقتباسات ، وتوهن من قيمتها ومن مكانتها الدينية ، كدليل على صحة الكتاب المقدس ،لأنها بلا شك تعد مسوغا معتبرا لتدخل أيدي البشر في كتابة الأناجيل ، ودليلا واضحا على التحريف.

خامسا: اتفاق العقائد المسيحية المتضمنة في تأليفات الآباء المعلمين ، بالعقائد المسيحية المتمسك بها المسيحيون الآن .

مما يستدل القمص به على صحة الكتاب المقدس أن عقائدهم الحالية تتوافق وعقائد آباء الكنيسة الأولين ، ونتيجة ذلك المنطقية بنظره عدم تحريف الكتب المقدسة .

يقول القمص : (وجود موافقة بين العقائد المسيحية المتضمنة في تأليفات أولئك الآباء المعلمين وغيرهم ، مع العقائد المسيحية المتمسك بها المسيحيون الآن ، هو دليل على عدم تحريف الكتب المقدسة.

---

(١) دائرة المعارف الكتابية – مادة إنجيل لوقا ٤٤٩/١، مصدر سابق.

(٢) انظر: حبيب سعيد ، المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٣٥،٢٣٦، مصدر سابق.

(٣) الأب سليم دكاش اليسوعي ، مدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٢ ،باختصار يسير، دار المشرق – بيروت ط٢ سنة ١٩٩٧م.

ويوجد أيضا أشخاص غير الذين ذكرناهم، بعضهم شاهد الرسل بالعيان، وسمع كلامهم بأذنه، وبعضهم عاين الذين عاصروا الرسل ،و منهم برنابا الذي كان رفيقا لبولس الرسول ، فإنه توجد إلى يومنا الحاضر رسالة من مؤلفاته ، ومنهم هرماس الذي ذكر اسمه بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية ،وإكلميندس الذي ذكر أيضا اسمه بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبي ، وكانت موجودة في سنة ٩٨ مسيحية ، وبوليكاربوس أحد تلاميذ يوحنا الرسول ،وكان موجودا في سنة ١٠٨.

فيتضح مما دُوّن في مؤلفات الآباء الأوائل ،وتقرر في المجامع المسكونية العامة، أن إيمان واعتقاد كنيسة النصارى بهذه الحقائق من بعد صعود المسيح ، هو ذات اعتقادها الآن، وبالتالي تكون الكتب المقدسة التي كانت موجودة في أيام هؤلاء المؤلفين،موافقة بالتمام لذات الكتب الموجودة بين أيدينا الآن)[١].

ولا ندري كيف يعتقد القمص بأن العقائد المسيحية الحالية متوارثة والجميع متفق عليها،مما يدل بنظره على عدم تحريف الكتاب المقدس ، وكأنه يتغاضى عما يأتي.

أ- الخلافات الكثيرة بين الفرق المسيحية في مسائل العقائد ، دالة على أن دعوى الاتفاق في العقائد والكتب ما هي إلا وهم ، أو سراب.

فأي الفرق النصرانية الحالية تتفق وعقائد الآباء الأولين وكتبهم؟ هل الكاثوليك ، أم البروتستانت ، أم الأرثوذكس؟ فإذا كانت عقائد الآباء وكتبهم هي نفس ما عليه النصارى من عقائد وكتب حاليا ، كما هو الُمدّعَى، فلماذا يعتقد البروتستانت والكاثوليك بانبثاق الروح القدس من الآب والابن ، ويعتقد الأرثوذكس بانبثاقه من الروح فقط؟!!![٢].

ولماذا لا يسمح لأي من البروتستانت بالزواج من الأرثوذكس إلا بعد الانضمام التام للكنيسة الأرثوذكسية ،إيمانيا وعقائديا وكنسيا وطقسيا؟!!![٣].

وإن كان ثمة اتفاق في العقائد والكتب بين الطوائف النصرانية الحالية وبين عقائد من غبر ، وبما أقرته المجامع أيضا ، فيا تُرى ما هو سبب القتال الذي جرى بين الكاثوليك والبروتستانت عبر التاريخ؟ ولن أشق على القمص في الرجوع إلى العديد من المصادر التاريخية التي تتحدث عن التناحر والشقاق والحروب التي وقعت في القرن السادس عشر الميلادي، بين أتباع المذهبين (

---

(١) رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ص ٣١، مصدر سابق.

(٢) البابا شنودة الثالث ، اللاهوت المقارن ١/ ١١، ١٢ مصدر سابق.

(٣) انظر : موسوعة الأنبا غريغوريوس ، اللاهوت المقارن ، ص ٣١١ ، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس سنة ٢٠٠٣م، من موقع https://coptic-treasures.com/.

الكاثوليكي والبروتستانتي) ،مما يدل على الاختلاف الجوهري في المعتقد والكتب ، وفي الفهم والتصور وفي التطبيق.

وكفي أن نعود إلى ول ديورانت (ت ١٩٨١م) ، ليقص علينا أن الجيشين تقابلا في كابيل (١١ أكتوبر سنة ١٥٣١) – جيش الكاثوليك ، وجيش البروتستانت ، واشتبك الجيشان في هذه المرة وانتصر الكاثوليك(١).

وعندما أصبحت اليزابيث تيودور ملكة على إنجلترا(١٥٥٨ – ١٦٠٣) جاء دور الكاثوليك ليعانوا من الاضطهاد. فقد كان محرماً عليهم–ولو أنهم كانوا لا يزالون يشكلون الأغلبية–أن يقيموا الصلوات الكاثوليكية، أو يكون لهم أدب كاثوليكي. وحطمت الصور المقدسة في الكنائس بأمر الحكومة،وفتشت البيوت في لندن، وأمر الأجانب الذين وجدوا فيها بالإدلاء ببيان عن ديانتهم، وطلب إلى الحكام أن يعاقبوا كل من يوجد في حوزته كتب المذهب الروماني الكاثوليكي [٢].

هذا هو التاريخ بأخباره الصادقة ، التي يستحيل إنكارها، يدون لنا ما جرى بين الكاثوليك والبروتستانت من عداوة وشقاق في هذه الفترة ، وهذا يدل على أن باعثه، اختلافهما في مسائل العقيدة ، وإلا ما حدث كل ما حدث ، فكيف يُدّعى الاتفاق بين عقائد الآخرين والأولين ، وأيهما متفق بعقائد الآباء؟!!

ب–انشقاق بعض الكنائس عن عقائد المجامع المسكونية واستدلالهم بفقرات من الإنجيل.

أمّا كلام القمص عن المجامع واتفاق عقائدهم حاليا بقراراتها ، فكأنه لا يعرف سبب نشأة الكنيسة الأرثوذكسية التي ينتمي إليها ، لقد نادى الأسقف ديسقورس بطريرك الإسكندرية أن المسيح ذو طبيعة واحدة ،حيث يتلاقى في ذاته الناسوت باللاهوت ،فهو من جوهر الله بل هو الله المتأنس.

لقد شاعت هذه العقيدة مما أدى إلى عقد مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م،ولقد قرر المجمع أن المسيح ذو طبيعتين، هما طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت التقتا في ذاته،ولقد كفر المجمع ديسقورس وقرر نفيه عن الإسكندرية، إلا أن المصريين لم يرضوا بغيره بديلًا، الأمر الذي دفعهم إلى الانسلاخ من الكنيسة، منشئين الكنيسة المصرية الأرثوذكسية[٣] ، وبأي شئ تمسكت الكنيسة الأرثوذكسية ؟ إنها

(١) قصة الحضارة ١٢٨/٢٤، باختصار، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ٢٦/٢٨.

(٣)مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٢٥٢ ،مصدر سابق ، وانظر: د/ متولي يوسف شلبي ، أضواء على المسيحية ص ١٠٧، الدار الكويتية، بدون رقم طبعة وتاريخ.

نصوص الأناجيل ، حيث قالوا : (ليس هناك نص إنجيلي واحد يدل بوضوح على أن للسيد المسيح طبيعتين بعد الاتحاد)[1].

فأي عقائد الكنائس على أساس عقائد الآباء الأولين ومجامعهم ، هل الكنائس الخلقيدونية التي أخذت بعقائد مجمع خلقيدونية أم التي رفضت الانصياع لتلك العقائد؟ هل الكنائس الشرقية أم الكنائس الغربية؟ وكيف نفسر انفصال كنيسة الإسكندرية بعد مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م؟

ج- خطأ القمص في ذكره أسماء برنابا وإكليمندس وبوليكاريوس وهرماس، ونقض الادعاء باتفاق كتب الكنيسة بكتب هؤلاء.

مما يبطل ادعاء القمص بأن الكتب المقدسة التي كانت موجودة في أيام الآباء،موافقة بالتمام لذات الكتب الموجودة بين أيديهم الآن ، أن القمص ذكر اسم برنابا – فيمن ذكر من أسماء، ونشير إلى مخالفة إنجيل برنابا للأناجيل الأربعة التي عليها عقائدهم في عدة أمور، أهمها: قوله إن يسوع أنكر ألوهيته، وكونه ابن الله ، وأن مسيا، أو المسيح المنتظر، ليس هو يسوع بل محمد، وقد ذكر محمداً ،باللفظ الصريح المتكرر، في فصول ضافية الذيول ، ويسوع لم يصلب، بل حمل إلى السماء، وأن الذي صلب هو يهوذا الأسخريوطي الخائن، مُسلّم سيده[2]، فأين الاتفاق المفترى ؟!!

ثم لماذا جعلت الكنيسة رسالة برنابا ، تبعا لأسفار أبوكريفا (غير القانونية – المزورة – المزيفة) ؟على الرغم من أن لها قيمة تاريخية وعقدية كبيرة ، ولها منزلة قوية في الكنيسة الأولى، حتى أنها وُجدت في النسخة السينائية للكتاب المقدس [3] ، وقام إكليمندس الإسكندري في القرن الثالث بإثبات صحة نسبة الرسالة إليه[4].

كذلك ذكر القمص من أسماء الآباء: إكليمندس وبوليكاريوس وهرماس ،ويرى موافقة عقائد الكنيسة حاليا بعقائد هؤلاء ، وأتساءل.

---

(١) موسوعة الأنبا غريغوريوس ، اللاهوت المقارن ، ص ٢٣١ ، مصدر سابق ومن شدة تضارب الآراء بين المسيحيين، في مفاهيم عقيدة طبيعة المسيح ، نشأ عنها علم قائم بذاته عرف باسم (الكريستولوجيا) أي علم طبيعة المسيح.

(٢)إبراهيم خليل أحمد ، محمد في التوراة والإنجيل ص ١٥١، دار المنار، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م.

(٣) نيافة الأنبا يؤانس، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص ٤٠٤ ، مصدر سابق.

(٤)المطران كيرلس سليم بسترس ،الأب حنا الفاخوري ، الأب جوزيف العبسي البوليسي ، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ص ٦٦، مصدر سابق.

إذن لماذا جعلت الكنيسة ومجامعها، رسالة إكليمندس الثانية ، وراعي هرماس ، ورسالة بوليكاربوس إلى أهل فيليبي، من الأسفار غير القانونية [1]؟!!! أليست كتبهم معتبرة ؟أليست رسائلهم تعبر عن اعتقادهم، أم أن بها ما يخالف ما عليه اعتقاد الكنيسة الآن ؟!!!

ولا أدري كيف ذكر القمص، اسم هرماس – في قائمة الأسماء التي طرحها– على الرغم من وصية الآباء، بعدم أخذ أي عقيدة منه ، لأنه يخلط بين ابن الله والروح القدس[2]؟!!

وأخيرا : ما هو الموقف من الأسفار الآتية، التي لم يتم إقرارها من بعض المجامع أو الكنائس ثم تمت الموافقة عليها من بعد ذلك، مثل:

١– سفر رؤيا يوحنا ، وقد كانت كنائس الشرق تميل إلي رفضه ، في القرون الأولي، فقد أنكر ديونيسيوس أسقف الإسكندرية قانونية سفر الرؤيا ، وانساق وراءه يوسابيوس (ت٣٤٠ م) ، ولم تقبله الكنيسة الشرقية إلا في القرن السادس الميلادي (٣).

٢–رسالة بولس إلى العبرانيين ، التي لم يقرها مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م ، وكذلك لم يقر هذا المجمع رسالة يعقوب، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهوذا[4]؟.

وبناء على ذلك ، أيُقبلون هؤلاء لأنهم قُبلوا مؤخرا ، أم يُرفضون لأنهم ما كانوا مقبولين سلفا في مجمع نيقية؟

فعمليات رفض المجامع لأسفار بعينها، وإقرارها لأخرى بين الفينة والفينة ، يجعل الشك يحوم حماه حول الجميع ، ويساعد في توجس النفس السوية خيفة منها جمعاء، وهنا يزداد البصير يقينا والمؤمن إيمانا ،بعدم وحي تلك الكتب ، وعدم تصديق القول بإلهامها وعصمة كاتبيها، وإلا فما كان لبشر أن يرفض ما أنزل الله، ولا لمجمع أن يرد وحيه ، ولا لكتب –يُفترض أنها إلهية– تُرفض أولا ثم تُقبل آخرا.

(١)جوش ماكدويل ، كتاب وقرار ص ٣٣ ، ٣٤ ،مصدر سابق.
(٢)القمص تادرس يعقوب ملطي، نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولي ، ص ١٧، مصدر سابق.
(٣) دائرة المعارف الكتابية – مادة رؤيا يوحنا ٤/٤٠، مصدر سابق.
(٤) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ص٣٢، ٣٤، بتصرف واختصار.

الخاتمة

أولا النتائج.

الحمد لله على الإعانة والتوفيق ، والشكر له –سبحانه –على ما أسدي من نعمة وفضل في كتابة هذا البحث الذي أحتسب أجره عنده عز وجل ، ويخلص الباحث إلى عدة من النتائج يجمل أهمها فيما يلي.

١–براءة النصوص القرآنية التي استدل القمص سرجيوس من خلالها على أن التوراة والإنجيل الحاليين غير محرفين ، من دلالتها على عدم التحريف، وقد قام البحث بتفنيد أدلته حول ذلك، وبيان الحق الذي تدل عليه النصوص.

٢–زعم القمص أنه يوجد من علماء المسلمين ومن المفسرين للقرآن من ذكر بأن التوراة والإنجيل غير محرفين ، وقد أظهر البحث بطلان رأيه، بذكر كلام علماء المسلمين عن وقوع التحريف.

٣–استعمل القمص منهج قلب الحقائق والفهم بالعكس ، وذلك حينما اعتقد بأن الآيات الدالة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل، هي صريحة الدلالة على صحتهما وعدم تحريفهما.

٤– استخدم القمص أسلوب اجتزاء النصوص من مواضعها، وقد رصد البحث ذلك عنه ، حينما ذكر كلاما للرازي في مسألة التحريف مجتزءاً من سياقه ، ليستدل من خلاله على نتيجة في نفسه ، يريد أن يصل إليها، وهي أن الرازي لم يقل بالتحريف، وقد بيّن البحث تهافت استدلاله.

٥–يعتقد القمص إسدال العصمة على جميع ما كتب في العهد القديم والجديد ، وأن جميعها موحى بها من الله ، وقد وضح البحث تهافت هذا الكلام ، من خلال بيان أن التناقض والاختلاف والتكاذب الثابت بين روايات الأناجيل يبطل العصمة لكتبتها والإلهام لواضعيها.

٦– توصل البحث إلى أن التحريف في الكتب السابقة ، وقع تدريجيا بواسطة أيادي مختلفة على مر العصور والأزمنة ، سواء على أيدي النساخ أو على أيدي رجال دين ، أو علي أيدي تلاميذ كتبة الأناجيل ، أو على أيدي المترجمين من اللغة الأصلية ، أو على أيدي مجاهيل كذلك ، سواء كان التحريف عن عمد أو غيره، فلم يقع التحريف جملة واحدة كما يظن القمص ، باجتماع شخصيات ما، في مكان ما ،ومعهم نسخ من الأناجيل والتوراة وقاموا بالتحريف، فهذا ما لا يتصوره عاقل ، ولا يقول به أحد.

٧–أشار البحث إلى فساد قول القمص بوحي التوراة والإنجيل بناء على تحقق نبوءاتهما، لأنه دليل لا يصمد أمام الحقيقة العلمية ،فقد تم رصد نبوءات تحدثت عنها الأناجيل وما تحققت، وهناك نبوءات

ورد الحديث عنها بعد أن وقع ما أنبأت به ، وهناك تكلف شديد في بعض النبوءات الواردة في بعض أسفار العهد القديم، و تم استنطاق أنبيائه قسرا، وتحوير الكلمات والروايات ليكون المقصود بها المسيح.

٨-أثبت البحث وجود فوارق وتباين كبير بين نسخ التوراة والإنجيل ،لا كما اعتقد القمص أن النسخ كلها متفقة فيما بينها، فنسخ التوراة والإنجيل يخالف بعضها بعضا ويناقضه.

٩- أومأ البحث إلى أن أمر وقوع الأخطاء في نسخ الأناجيل ، كان محل إجماع من علماء الكتاب المقدس، حيث أجمعوا على أن المخطوطات الموجودة تحتوي على أخطاء بعض النساخ، و أنها تكتشف عادة عندما تتم مقارنة المخطوطات الأحدث بالمخطوطات الأقدم المتاحة.

١٠-أشار البحث إلى نماذج من الشرائع المختلفة بين العهد القديم والجديد كمنع المعاملة بالمثل ،وتقديس الأحد بدلا عن السبت ، وإلغاء الختان ، ومنع تعدد الزوجات مما يبطل الوحدة المدعاة من القمص بين العهدين، لا سيما إذا أضفنا إلى ذلك ، أنه اعترى اقتباسات كُتَّاب الأناجيل من العهد القديم ، كذبا وتناقضا وأخطاء في النقل.

١١-أقر اللاهوتيون المسيحيون العقلانيون بأنه لا يمكن الاعتماد على أقوال آباء الكنيسة في قبول نصوص التوراة والإنجيل واعتبار قانونيتها، كما اعتقد القمص، لأنهم يذكرون الأجزاء التي يقتبسونها من ذاكرتهم مباشرة دون الرجوع إلى المخطوطة ،ولأن المخطوطات الأصلية التي خرجت من يد الكتاب أنفسهم ليست موجودة ، ولا يمكن التأكد الكامل من أن الأجزاء التي اقتبسوها من الكتاب المقدس، لم يجر عليها أي تصحيح ، وفوق ذلك كانت حياتهم يكتنفها بعض الغموض والخفاء.

١٢- أكد البحث على غلط القمص في قوله بأن الطوائف النصرانية متفقة على كتب قانونية بعينها،لأن قانونية الكتب تختلف بين فرق النصارى قديما،والاختلاف في الكتب قائم كذلك بين طوائف الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس والكنيسة الحبشية.

١٣- وضح البحث خطأ رأي القمص بأن العقائد المسيحية الحالية متوارثة منذ عهد الآباء، مما يدل بنظره على عدم تحريف الكتاب المقدس ، لأن الخلافات الكثيرة في العقائد بين الطوائف المسيحية ، والحروب التي جرت بين الكاثوليك والبروتستانت، وانفصال الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية، بعد مجمع الخلقيدونية، لهو أقوى برهان على أن دعوى الاتفاق ما هي إلا وهم ، أو سراب.

ثانيا: توصيات البحث:

١- ضرورة عمل موسوعة أو دائرة معارف إسلامية ، يتم فيها جمع شبهات اللاهوتيين التقليديين حول صحة الكتب المقدسة ومناقشتها مناقشة موضوعية ، لعلها تهدي ضالا ، أو تروي ظمآنا، أو تشفي عليلا.

٢-الاهتمام بمنهج النقد الذاتي لشبهات علماء اللاهوت، فهو وسيلة عظمى في الإقناع.

المصادر والمراجع

- آباء الكنيسة، د/ زكى رستم -مؤرخ الكرسي الأنطاكي ، منشورات المكتبة البولسية - لبنان ، بيروت ط٢ سنة ١٩٩٠م.
- أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، محمد بن صفي الدين الحنفي ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية ، بدون بيانات أخرى.
- أدلة وحي الكتاب المقدس وسلامته من التحريف، القس أغسطينوس حنا ، الناشر : كنيسة القديس ماريوحنا - كوفينا - كاليفورنيا ، ط٢ سنة ٢٠٠٦م.
- أديان العالم ، حبيب سعيد ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية -القاهرة ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، د/ موريس بوكاي ، ترجمة فوزي شعبان ، المكتبة العلمية ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- الأصول الوثنية في المسيحية ، أندريه نايتون ، إدغار ويند ، كارل غوستاف يونغ ، ترجمة سميرة عزمي الزين ، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ، بدون بيانات أخرى.
- أضواء على المسيحية، د/ متولي يوسف شلبي ، الدار الكويتية، بدون بيانات .
- اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة - بيان ونقد ، د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الإيمان - المنصورة ، ط١ سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ سنة ١٤١٨ هـ.
- بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي ،دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة ، ط١ سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ، المطران كيرلس سليم بسترس ،الأب حنا الفاخوري ، الأب جوزيف العبسي البوليسي ، المكتبة البولسية ، بيروت – لبنان، ط١ سنة ٢٠٠١م.
- تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة– القاهرة – ٢٠٠١م.
- تاريخ الكتاب المقدس ، كارين أرمسترونج ، ترجمة : د. محمد صفار ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ سنة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- تأملات في الأناجيل والعقيدة، د / بهاء النحال ،بدون اسم ناشر، ط٢ سنة ١٩٩٤م.
- التحريف في التوراة ، د/ محمد على الخولي ، دار الفلاح – الأردن ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- تخجيل من حرف التوراة و الإنجيل ،صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي،المحقق: محمود عبد الرحمن قدح ، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- تفسير ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ سنة ١٤٢٢هـ.
- تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ سنة ١٤٠٧ هـ.
- تفسير الطبري ، الإمام محمد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، ط١ سنة١٤٢٠ هـ /٢٠٠٠م.
- تفسير العهد الجديد ، وليم باركلي ، دار الثقافة – مصر، ط١ سنة ١٩٩٣م.
- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الكتب العلمية بيروت ، منشورات محمد علي بيضون ، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط ١ سنة ١٤١٩ هـ.
- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، د/موريس بوكاي ، ترجمة الشيخ : حسن خالد ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ،ط٢ سنة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، أحمد ابن تيمية الحراني ، تحقيق: علي بن حسن وآخرون ، دار العاصمة، السعودية ، ط٢، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- حل مشاكل الكتاب المقدس، القس منسي يوحنا ، دار المحبة ، بدون.

- حياة يسوع ، د/ بترس سميث ، ترجمة : حبيب سعيد ، إصدار جمعية نشر المعارف المسيحية – بولاق – مصر سنة ١٩٣٥م.
- الدين والسياسة في مصر المعاصرة – القمص سرجيوس ، د/ محمد عفيفي ، دار الشروق، ط١ سنة ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.
- رحلة مع مخطوطات الكتاب المقدس، القمص ابرآم أنور، ترجمة د. ماريان منير ، مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- رد القمص سرجيوس على القائلين بتحريف التوراة والإنجيل ، مطبعة المحيط – الفجالة – مصر ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون ، القديس أثناسيوس الرسولي ، ترجمها د/ موريس تاوضروس ، د/ نصحي عبد الشهيد ، الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط٢سنة ٢٠٠٥م.
- شبهات النصارى وحجج الإسلام ، الأستاذ/ محمد رشيد رضا، دار المنار، ط٢ سنة ١٣٦٧هـ.
- شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، القمص منيس عبد النور ، كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية – مصر –ط١ سنة ١٩٨٢م .
- شفاء الغليل في ما وقع في التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل، إمام الحرمين الإمام عبد الملك بن عبد الله الجويني ، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا ، المكتبة الأزهرية للتراث ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل،حسن الباش ،دار قتيبة ، ط١ سنة ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.
- علاقة الإسلام باليهودية ، د /محمد خليفة حسن ، دار الثقافة، سنة ١٩٨٨م.
- الفارق بين المخلوق والخالق ، العلامة / عبد الرحمن الباجه جي زاده ، تصحيح ومراجعة: عبد المنعم فرج درويش ،سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، بدون رقم طبعة وناشر .
- الفرق والمذاهب المسيحية د/ نهاد خياطة، دار الأوائل ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ،ابن حزم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،بدون.
- في الحوار اللاهوتي– اللاهوت المقارن، البابا شنودة الثالث ، الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس – القاهرة، ط٢ سنة ١٩٩٢م.
- قصة الحضارة ، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت ، ترجمة: الدكتور: زكي نجيب محمُود وآخرين ، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس سنة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

- قصة الكتاب المقدس ف.ف .بروس – ج. أ.بايكر– فيليب كومفرت –كارل ف.هـ.هنري ، ترجمة ندى بريدي، دار الثقافة ، ط١ سنة ٢٠١٢م.
- الكتاب المقدس – النسخة اليسوعية ، دار المشرق – بيروت – لبنان ط٣ سنة ١٩٨٨م.
- الكتاب المقدس في الميزان ، د/رادوار ج . يونج ، نقله إلى العربية : القس إلياس مقار ، دار الثقافة المسيحية – القاهرة ط٢ سنة ١٩٧٧م.
- كتاب وقرار – بحث منطقي في صحة الكتاب المقدس، جوش ماكدويل ، ترجمة د. القس منيس عبد النور ، الناشر: هيئة الخدمة الروحية بالإسكندرية ،بدون.
- الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، نيافة الأنبا يؤانس ، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) العباسية – القاهرة ، ط٣ سنة ١٩٨٧م.
- كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، د/ أسد رستم –منشورات المكتبة البولسية – لبنان – سنة ١٩٨٨م ، بدون رقم طبعة.
- محاضرات في النصرانية ، الإمام محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، ط٣، سنة١٣٨١ هـ /١٩٦٦ م.
- مدخل العهد الجديد ، جون درين ، ترجمة د/ إيهاب جوزيف – د/ فنيس نقولا ، دار الثقافة ، مصر سنة ٢٠١٥م.
- المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز،دار الثقافة – القاهرة سنة ١٩٨٠م.
- المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- مدخل إلى الكتاب المقدس، الأب سليم دكاش اليسوعي ، دار المشرق – بيروت ط٢ سنة ١٩٩٧م.
- مدخل إلى النقد الكتابي ،المهندس رياض يوسف داود ، دار المشرق – بيروت ط١ سنة ١٩٩٧م.
- مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، نخبة من اللاهوتيين– بيروت، سنة ١٨٦٩م.
- المرشد إلى الكتاب المقدس، مجموعة من الباحثين اللاهوتيين، نشره باللغة العربية دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ومجلس كنائس الشرق الأوسط ، ط٢ سنة ٢٠٠٠م .
- المسيح إنسان أم إله ، د. محمد مجدي مرجان ، مكتبة النافذة – فيصل– مصر ط٢ سنة ٢٠٠٤م.
- المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث ، ف. كيزيتش ، تعريب الأب ميشال

نجم ، منشورات النور ، بدون رقم طبعة وتاريخ.

- المسيح في مصادر العقائد المسيحية، اللواء مهندس أحمد عبد الوهاب ، مكتبة وهبة- مصر ، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- المسيح في نبوءات العهد القديم ، القس شنودة ماهر إسحاق- سلسلة دراسات في الكتاب المقدس (٢) ، القاهرة ط٣ سنة ٢٠٠٢ والكتاب بدون دار نشر.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١ سنة ١٤٢٠هـ.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط٣ سنة ١٤٣٠هـ.
- مناظرة بين الإسلام والنصرانية،مثل الجانب الإسلامي في المناظرة كل من الدكتور/ محمد جميل غازي، والأستاذ/ إبراهيم خليل أحمد،واللواء المهندس/ أحمد عبد الوهاب،الناشر:الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض – المملكة العربية السعودية ط٢ ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.
- المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ،الشيخ / أبو الفضل السعودي المالكي ، تحقيق :رمضان الصفناوي ، دار الحديث – القاهرة ط١ سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- موسوعة الأنبا غريغوريوس ، اللاهوت المقارن ، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس سنة ٢٠٠٣م، من موقع https://coptic-treasures.com .
- نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولي ، القمص تادرس يعقوب ملطي ،الناشر : كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس باسبورتنج – الإسكندرية ط١ ٢٠٠٨م.
- نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي ، د / أحمد محمود هويدي ، دار رؤية للنشر – مصر، ط١ سنة ٢٠١٤م.
- نقد العهد القديم ، زالمان شازار ، ترجمه من العبرية : د/ أحمد محمود هويدي ، رؤية للنشر والتوزيع – مصر، ط١ سنة ٢٠١٤م.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المحقق: محمد أحمد الحاج ،دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية ، ط١ سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- هل تنبأت التوراة عن المسيح؟ القمص سرجيوس ، إدارة مجلة المنارة المصرية – القاهرة ، بدون

رقم طبعة وتاريخ.

- هوامش المقريزي –المجموعة الثانية،صلاح عيسى، دار القاهرة للنشر سنة ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

